الكتاب الستون

صدق كلمة الله وتأكيد وحيها

بقلم القس
صموئيل مشرقي رزق

الكتاب الســـتون

صـــــدق كـــــلمة الله
وتأكيد وحيها

تفنيد ادعاءات مدارس النقد العصرية
الموجهه ضد الكتاب المقدس

Truth of the Holy Bible
&
Verification of its Inspiration

بقلم
القس صموئيل مشرق رزق
رئيس مجمع عام كنائس الله الخمسينية

صدر عن الكنيسة المركزية للمجمع
٨ ش احمد باشا كمال ـــ جزيرة بدران شبرا مصر
ت ٧٧٥٦٧٦

تقديـــم

من المعلوم إن الايمان لايمكن أن يستقر إلا على أساس متين موثوق من مصدره الإلهي ـــ وهذا المصدر لا وجود له إلا فى كلمة الوحى التى يتضمنها « الكتاب المقدس » ، ولذلك كانت كل هجمات المهاجمين موجهة ضده وخاصة على يد جماعة النقاد العصريين الذين يبذلون قصارى جهدهم لفحص الكتاب المقدس ؛ فحصاً شاملاً لأسفاره وفحصاً دقيقاً لنصوصه :

فإن مدارس النقد العصرية لم تقف عند حدود مشروعة كنقد النصوص مثلا لإدراك المعنى الحقيقى لكلمات الكتاب ـــ كما فعل اوريجانوس فى زمانه واقطاب الاصلاح فى عصرهم ـــ بل تعدتها إلى أبحاث فى أصول الأسفار المقدسة تناولتها نقداً وتحليلاً فيما أسمته « النقد الأعلى » وهو تطبيق النقد على تاريخ هذه الأسفار وصحة نسبتها إلى كاتبيها ومصادرها ... إلخ

وهذه الطعون هى التى ينقل عنها بعض الكُتَّاب المعاصرين ممن يرون فيها اتفاقا مع وجهة نظرهم ، وقد ظن هؤلاء الذين تلقفوا هذه الانتقادات وحسبوها صادقة وطاعنة فى صحة أسفار الكتاب المقدس ، أن حملاتهم للتشكيك فى وحيها قد نجحت ، **ولكن قد فاتهم أن الاعلان الذى أرسله لنا الله بالوحى لابد أن يكون فوق العقل وإلا لما كانت هناك ضرورة تستدعيه** ، وأن هذا الاعلان السامى لابد أن يكون معصوماً نظراً لصدوره من الله كلى العلم والمعرفة ، فإن كان يبدو أن هناك اختلافا أو تناقضا فإنما هو ظاهرى على السطح فقط ـــ إذ لايمكن أن ينقض المكتوب ـــ ولذلك فإننا عندما نتعمق فى البحث نجد أن التناقضات المقول بها ليس لها أساس قط وإنما هى نابعة من قلة معلومات القائلين بها وقصور إدراكهم ... وهذا ينطبق بالأكثر على مجال النقد الحديث الذى اتجهوا فيه إلى نقد الكتاب المقدس علميا فزعموا بأنه يحتوى على مدونات تناقض الحقائق والاكتشافات العلمية وقد استندوا إليها فى تكثيف هجماتهم ضد الكتاب المقدس ظنا منهم بأنها تُكَذِّب ما أعلنه الوحى المعصوم فيه ...!

* * *

ولم نقف مكتوفى الأيدى بطبيعة الحال ، لأن دعوى التشكيك فى « كتاب الله » من أخطر دعاوى العصر بل أنها وليدة الالحاد وعلامة بارزة من علامات الارتداد التى ذكرها الكتاب المقدس عن قوم بانهم « سيصرفون مسامعهم عن الحق ، ويتحرفون الى الخرافات » (٢ تى ٤ : ٤) ، فقمنا من جانبنا بإصدار أبحاث فى هذا الموضوع منذ أوائل الستينات بعنوانين :

« **فكرة عن الكتاب المقدس** » ــ « **مصادر الكتاب المقدس** » ــ « **المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد** » ــ « **عصمة الكتاب المقدس** » ــ **الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات** » و « **القول الصواب فى حل مشكلات الكتاب** » . وقد أثبتنا فيها كلها حقيقة أنه لايمكن الوقوف فى وجه ماتوفر للكتاب المقدس من أدلة على تأكيد وحيه وإثبات مصدره الالهى ...!

وبعد أن قدمنا ما على أساسه اتخذنا موقفنا الثابت من كلمة الله التى فرط فيها كثيرون ــ وتلك هى مأساة عصرنا الحاضر ــ قبلنا تكليف المولى لنا بمواجهة هذا النقد الجديد ، الذى يحاول به اصحابه أن يزعموا بأن الكتاب المقدس مجرد تأليف بشر وليس وحى الله ، فكان موقفهم هذا حافزا مباشرا لنا فى إصدار الكتاب الحالى بعنوان :

« **صدق كلمة الله وتأكيد وحيها** »

وسيظهر من هذا البحث استحالة أن يصدر عن الحق المطلق كذب ما ؛ وما تأكيد الوحى بالنسبة للكتاب المقدس سوى الدليل القاطع المباشر على صدور هذا الكتاب عن الله العالم المعصوم الذى لايمكن أن يقرر حقائق كاذبة أو يُظهر جهلا فى أقواله ... ونحن إذ نزن أقوال المنتقدين بميزان العقل والانصاف يتضح لنا استحالة أن يقوم الطعن مقام البرهان ، أو يحل التهجم محل الحجة السديدة ، وها هى براهين ثقتنا فى كتاب الله تتحدث عن نفسها ...

المؤلف

الفصـــل الأول

تساؤلات حول الكتاب المقدس

« ولكنى أخبرك بالمرسوم فى كتاب الحق »
(دانيال ١٠ : ٢١)

يقتبس د . فاروق عبد السلام مؤلف كتاب « الفصل بين الدين والسياسة » قولاً لاسبينوزا الفيلسوف ورد فى كتابه « رسالة فى اللاهوت والسياسة» نصه :

« ان الكتب المقدسة ـــ أسفار العهدين القديم والجديد ـــ ليس لها مؤلف واحد بل هى من عمل عدد كبير من الناس عاشوا فى عصور مختلفة ... وانها لذلك لم تدون فى عصر واحد يسرى على كل الازمان ، وانما جاء تدوينها مصادفة ، وقُصد بها أناس معينون ودونت بحيث تلائم مقتضيات العصر والتكوين الشخصى لهؤلاء الناس ... » ومعلوم أن اسبينوزا مخترع مذهب الوهية الكون وكان يهوديا ...

وهذا القول يحتوى على عدة تساؤلات نرى أن نضعها على الشكل الآتى ونقدم أجوبتها وهاك هى :

*** لماذا دعيت أسفار العهدين بالكتاب المقدس ؟**

من المعلوم أن هذا الكتاب قد تقدس وحمل دون سواه اسم « الكتاب المقدس » لأن اسفاره نفسها قد دعيت بالكتب المقدسة ، ومع كثرتها فإنها تُكّون كتابا واحدا كاملاً هو المعروف لدينا بالكتاب المقدس ، ولا شك أن كل الكلام يقصر عن وصفه باعتباره « كتاب الكتب » ـــ أعظم كتاب فى العالم على الاطلاق لأنه يفوقها جميعها من كافة الوجوه !

وواضح أن لكل سفر من أسفار هذا الكتاب غرضاً معيناً يرتبط بما قبله ومابعده ، وهو يبدأ بسفر التكوين « كتاب البدايات » وينتهى بسفر الرؤيا « كتاب النهايات » ويحتوى فيما بينهما على خلاصة التاريخ كله !

*** من أين يكون لاسفاره الوحدة وليس له مؤلف واحد ؟**

الزعم بأن تعدد الكُتّاب بالنسبة لأسفار الكتاب المقدس هو من أسباب الخطأ كما يقولون لا أساس له من الصحة ، لأنه وإن كان قد قام بكتابته حوالى أربعين شخصاً أولهم موسى وآخرهم يوحنا ، ولكن رغم تعدد الكتبة فإن وحدة هذا الكتاب ظاهرة تدل على أن الله هو الكاتب الحقيقى له وإنه هيمن على وحيه وجمعه بروحه القدوس « لأن فمه هو قد أمر بها وروحه هو جمعها » (ا ش ٣٤ : ١٦) ، ولولا ذلك لما كان يتسنى لكاتبيه أن يخرجوه على هذا النمط الرائع من الاتفاق وهم يكتبون بالاستقلال عن بعضهم البعض ، لذلك فإننا

نجد بين اجزائه وحدة اعجازية واتفاقا دقيقا يشملانه من أوله لآخره وفى الواقع هذا هو الاعجاز فى الكتاب المقدس ترابطه رغم تعدد كُتّابه فى أزمنة مختلفة ، وهذا لايمكن تعليله إلا بالتسليم باشراف وسيطرة وحى الله على كتابته .. ومن ثم فإننا قد وجدنا واحداً من ابرز النقاد العصريين يقول بأنه : « لايستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الالهية ولا كيف تمت عملية التحريف لادخال تعديلات عليها » (موريس بوكاى فى كتابه دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة ص ١٣) وهو بذلك يقرر بطلان دعوى التحريف للعجز عن إثباتها ...!

*** كيف يمكن أن يسرى هذا الكتاب على كل الأزمان فى حين أن كل سفر من أسفاره مرتبط بعصره والمخاطبين فى زمانه ؟**

لايفكر أحد أن الأسفار المقدسة لها ارتباط مباشر ، كل منها بالعصر الذى يخصه ، وأن لها تطبيق مبدأى على المخاطبين بها فى عصرها ، ولكن التوقف عند هذا بالنسبة لها ، والادعاء بتقييدها وحصرها فى إطار محدود من المكان أو نطاق معين من الزمان هو الوهم بعينه ، إذ أن ميزة هذا الكتاب الفائقة هى **كونه كلمة الله الدائمة البقاء الموجهة للبشرية جمعاء فى كل عصورها ، وهذا واضح من سلطانها المطلق على نفوس سامعيها وتأثيرها العميق عند مخاطبة القلوب بها** ، ولذلك فقد استحق الكتاب المقدس أن يكون معلم الأجيال ، فإنه كتاب المُثُل العليا والأهداف السامية بما لم يقدمه كتاب آخر ـــ ولذلك فإنه غير مكتوب لعصر معين ولا لقوم بالذات بل هو كتاب كل العصور للجميع !

حقا لن يوجد لهذا الكتاب منافس أو بديل لأنه يناسب حاجة كل طبقة من المجتمع وفى كل عصر ، إنه الكتاب الذى يتعدى حدود الزمن ويرفض التقيد « لأن كلمة الله لاتُقّيد » (٢ تى ٢ : ٩) ورغم قدمه فإن طلاوته دائمة يستمتع بها كل جيل !

*** ما هى حقيقة أسباب التشكيك فى الكتاب المقدس إذاً ؟**

لاشك أن الله لايريد منا أن تكون ثقتنا فى كتابه عمياء متعصبة بعيدة عن البرهان المعقول أو مرتدية رداء الجهل أو التقليد أو الخرافات ، ولذلك فإننا لانخشى على كتاب الله من التنقيب العقلى لأن البحث فيه يُنتج تحققا . وكلما تعمقنا فى البحث كلما كان التحقق أجلى والبيان أدل ....

لأنه إذ هو يحتوى على أقوال الله وجب لمدوناته السلطان المطلق الأمر الذى يحتم احتوائه على برهان قاطع لمصدره الالهى وأن يكون له أدلة مقنعة على صدق دعواه هذه لأن المنطق الحقيقى يقول باستحالة الايمان بدون برهان بعيداً عن تصديق التعصب الأعمى ... ولكن مع أن الحقيقة لاتخشى من أعظم وأدق الامتحانات فإن من لاتجد الحقيقة لها مكانا فى قلبه لايمكن لأى برهان أن يقنعه مهما كان فيه من كفاية الدليل للاقناع ـــ وهذا هو موقف

الناقدين العقلانيين اليوم : فإن كل مايقومون به هو مجرد إلقاء شبهات مغرضه على كلمة الله لدفع الناس إلى الاعراض عنها والتحرر منها لكونها تمثل السلطة الالهية التى وراءها والتى أعلنت عن الكتاب المقدس بإنه دستور الحق وفيصل الحكم من كافة الوجوه والقانون المعصوم الذى به سيتم مراجعة وفحص جميع أعمال البشر فى النهاية وهذه هى أسباب التشكيك الحقيقية ! ومن الغريب فى هذا المجال إقرار المنتقدين انفسهم بتعذر اثبات دعواهم بالتحريف ضد الكتاب المقدس وذلك فى حد ذاته يثبت إنها دعوى بلا سند بل هى ضرب من الاوهام !

طعون خاصة بتدوين الكتاب

« هذا كتاب مواليد آدم » (تك ٥ : ١)
« فقال الرب لموسى اكتب » (خر ١٧ : ١٤)
« والذى تراه اكتب فى كتاب » (رؤ ١ : ١١)

• يرجع تاريخ البدء فى كتابة الكتاب المقدس إلى ٣٤٩٧ سنة مضت فقد دعا الله موسى ليبدأ فى تدوين أسفاره الخمسة الأولى عام ١٥١٢ قبل الميلاد ـــ واستغرق تدوينه ستة عشر قرنا (حوالى ١٦١٠ سنة) فقد سجلت آخر أسفار العهد الجديد عام ٩٨ ميلادية وقد أمر الله سائر انبيائه بالتدوين ـــ وهم أناس اختارهم الله لهذه المهمة أوحى إليهم بكلامه فصار منطوقا على لسانهم ، وقد كلفهم بكتابة ما رآه لازما للتدوين والتداول كوحى مكتوب معصوم منسوب لله نفسه ! إنه اعلان الله الراسخ مكتوبا ونهائيا ، قد جاءنا تدريجيا وتباعا ...

وهنا ينبرى النقاد العصريون ليقدموا الطعون الآتية :

★ اعتراضهم على إمكانية كتابة الأسفار الأولى من الكتاب المقدس فى ذلك العصر المبكر الذى يصفونه « عصر الجهل والأمية » ويزعمون لذلك بأن الكتابة لم تكن معروفة فى عهد موسى :

ومع أننا رددنا على هذا الزعم بالكفاية فى كتابنا « مصادر الكتاب المقدس ـــ الباب الرابع اللغات الأصلية والترجمات « الصفحات ٦٢ ـــ ٨٤ » ، إلا اننا نقدم هنا رداً مركزاً وموجزاً بأن علم الآثار قد أثبت استخدام الكتابة مرتبطا بظهور الحضارات القديمة وخاصة فى مصر وبابل حيث ابتدأ تاريخ مدونات الكتاب المقدس فإن الاصحاحات الأولى من سفر التكوين مرتبطة أساسيا بتاريخ بابل وابراهيم نفسه كان بابليا ، كما تغرب بنو اسرائيل فى مصر ولاصقوا الحياة المصرية ...

وأثبتت الآثار أنه كان « لجوديا » ملك أور الكلدانيين مدينة ابراهيم مكتبة فى تل ـــ ليل ونتيجة مسجل فيها أعماله وهى موجودة بمتحف اللوفر ، كما إن هناك كتاباً بابلياً فيه وصف للخليقة وقصة للطوفان وهو الآن بالمتحف البريطانى ... بل إن شريعة لحمورابى (وهو امرافل الورد ذكره فى تكوين ١٣) قد وجدت مكتوبة وهى محفوظة بالمتحف البريطانى أيضا ، مما يدل على أن الكتابة كانت معروفة قبل زمان موسى بمئات السنين !

وكانت اللغة البابلية تدون بالكتابة المعروفة « بالمسمارية » على ألواح طينية أكتشفت فى بابل وأثبتت أن البابليين كانوا يستعملونها فى كافة الشئون التجارية والعامة بل والسياسية أيضا حيث أنهم كانوا يتخابرون بها مع الشعوب الأخرى مما رفعها إلى مرتبة « لغة دولية » فى ذلك العصر ... حتى إن البلاط المصرى (كما نفهم من ألواح تل العمارنة وهى ترجع إلى عام ١٨٨٧ ق .م) كان يستعمل تلك اللغة ، ولقد كشفت تلك الألواح عن الرسائل التى تبادلها إخناتون مع أمراء كنعان من بيبلوس والقدس وقد وجدت مكتوبة باللغة البابلية أى بالخط الأكادى المسمارى ، بل أن آثار الحيثيين قد أظهرت الكتابات الهيروغليفية (المصرية) والنقوش (البابلية) المكتوبة بالخط المسمارى أيضا ...

ومن أهم اكتشافات العصر صخرة كردستان التى وُجدت مكتوباً عليها كتابة لداريوس ملك الفرس ــ خليفة كورش ــ باللغات البابلية والاشورية والفارسية ، وهذه الأخيرة أعطت المفتاح للغتين السابقتين ففتحت أمام العلماء كنوز مكتبة نينوى وغيرها من الكتابات الأخرى التى كتبت بالخط المسمارى الذى كان مستعملا قبل ابراهيم بأجيال عديدة ، وعرفنا من ألواح تل العمارنة أن المصريين كانوا يقرأون ويكتبون هذه اللغة بسهولة وهى ليست لغتهم ، بل لقد أثبتت بعض النقوش البابلية وجود علامات فيها قد استعارتها من الهيروغليفية المصرية !

واذاً فمثل هذا الاعتراض بعدم معرفة الكتابة فى عصر موسى يبدو سخيفا حقا فى عصرنا الحاضر بعد هذه الاكتشافات التى تزخر بها متاحف العالم لكتابات قديمة منها ما هو فى أشكال اسفينية (وهى البابلية) ترجع تاريخها إلى ما قبل سنة ٢٥٠٠ ق. م. ومنها ما هو فى أشكال هيروغليفية يرجع تاريخها إلى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد !

وجدير بالذكر ماجاء بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٦/٣/١٣ ونصه : « عثر رجال الآثار ــ المصرية القديمة ــ على ورقة بردى يرجع تاريخها إلى عام ١٥٥٠ قبل الميلاد تعرف حاليا باسم '' بردية إيدون سميث الطبية '' تحتوى على مايسمى '' كتاب الجروح '' وتعتبر أقدم ماكتب عن الجراحة فى العالم » ، وقد ورد ذكرها فى كتاب ليركهارت عنوانه « انتصار الكتاب المقدس ص ٣٨ منسوبة للبروفسير برسيتد فى خطاب له فى سنة ١٩٢٤ بأن هذه البردية التى حصلت عليها جمعية نيويورك التاريخية فى عام ١٩٠٦ تحتوى على ضبط لاعضاء الجسم وأجزائه فى مراكز معينة فى المخ ! وهذا ما وصل إليه الجراحون منذ جيلين فقط !

*** على أن بعض النقاد الآخرين يتساءلون كيف أمكن لموسى أن يكتب التوراة بالعبرية فى حين أن اللغتين القديمتين الأكثر انتشارا كانتا البابلية والهيروغليفية فإما أن تكون التوراة مكتوبة باللغة الأولى أو بالثانية وخاصة أن موسى تربى فى مصر وعاش فى سيناء .**

والاحتمال الأول فى علاقة اللغة البابلية بالتوراة يذكره دكتور نافال بقوله : « هناك من

يرى بأن وراء النص العبرانى لأسفار موسى الخمسة يوجد نص أقدم بلغة ألواح تل العمارنة (أى اللغة الاكادية البابلية) ، وقد اثبتت ألواح رأس شمرا كما يقول شيفر بأنها مكتوبة بطريقة الخط المسمارى بحروفة الابجدية كاملة وبطريقة حسنة ، ويقول إن لغة هذا النص لها صلة وثيقة باللغة الفينيقية وهذه أيضا لها صلة مماثلة باللغة العبرية قد كشف عنها الحجر الموآبى المكتوب حوالى سنة ٨٦٠ ق.م. بطريقة الترتيب الابجدى الذى يتكون من ٢٢ حرفا هى الابجدية العبرية القديمة ـــ وهى التى احتفظ السامريون بتوارة موسى مكتوبة بها وهى التى تعرف « بالنسخة السامرية » وكان ذلك قبل أن تبطل العبرانية القديمة فى السبى البابلى ويتحول اليهود إلى الأرامية أو اليونانية .

ويقول مكلستر ان التوراة بهذه اللغة العبرية القديمة كانت موجودة فى زمن يربو على ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، بينما يقرر الأب مونتيت بأنه قد اكتشف فى حفريات بابل حجرا مكتوبا عليه تاريخ كتابة الكتاب المقدس العبرى ويرى أنه كان معاصراً لأيام رمسيس الثانى وأما اكتشافات سير فلندرز بترى فى معبد سيرالوت بشبه جزيرة سيناء فتخبرنا عن وجود نقوش بالحروف الابجدية العبرية يرجع تاريخها إلى عصر موسى ... وقد أمدتنا حفريات لخيش فى الجنوب الغربى من فلسطين بالنصوص التى كانت تتوسط مابين ابجدية سيرالوت وابجدية رأس شمرا ... وقد أدخل يشوع هذه الحروف العبرية إلى فلسطين عند فتحه إياها وكانت الكتابة قد انتشرت إلى حد عثوره على مدينة باسم « قرية سفر » أى « مدينة الكتب » !

أما عن الاحتمال الثانى الذى دفع د . فؤاد حسنين لأن يكتب كتابا بعنوان : « التوراة الهيروغليفية » وقد اثبت فى بحثه أن الحروف المصرية التى وردت فى قصة يوسف وتاريخ سفر الخروج اتفقت بكل دقة مع المميزات اللغوية المصرية ... حتى لقد وجدت بعض الكلمات المصرية فى أسفار موسى دون توضيح معناها دليلا على أن الأشخاص الذين كتبت لهم يفهمون اللغة المصرية . كما أن الأسماء القديمة التى اشتهرت بين الاسرائيليين أكثرها مصرى كحنفى وفينحاس (وهو من بنحسى أى النوبى) واسم موسى نفسه (ربما كان من مسو ومعناها مولود من) مثل رعمسيس أى مولود رع . ولقد ظن البعض لهذا السبب أن توراة موسى هيروغليفية الأصل لأن العبرانيين وهم فى مصر كانوا ولاشك يتكلمون (الهيروغليفية) ومن المؤكد أن موسى نفسه ـــ وقد ولد فى مصر ونشأ فيها وتثقف بثقافتها وتدرج حتى اصبح قائداً فى الجيش المصرى ـــ كما يقول يوسيفوس المؤرخ ـــ كان يعرف الهيروغليفية ، **ولكن الادعاء بأنه لم يكن يعرف غير هذه اللغة المصرية القديمة وأنه لذلك كتب التوراة بها لايقوم على أساس فإن النصوص التى اكتشفها سير فلندرز فى هيكل سيرابيت بسيناء تصف حالة العبرانيين الى فترة الخروج قد كتبت بالكتابة الابجدية للحروف العبرية القديمة متأثرة بالعلامات أو الاشارات الهيروغليفية ، ومع ذلك بقيت اللغتان منفصلتين ومتميزتين ، مما يؤكد أن العبرية لغة أصلية منذ ظهور الشعب الناطق بها فى التاريخ ...**

وعند بحث أصل هذه اللغة قد وجد أنها غير المصرية القديمة (الهيروغليفية) وهى غالبا لغة قريبة من العبرية الحالية ... ومما يثبت عدم ارتباطهما أن يوسف كان يتكلم مع إخوته بترجمان ، مع أنه كان يفهمهم لأنه منهم ويعرف لغتهم ...!

نستخلص من ذلك تلقائيا أن كاتب الأسفار الخمسة هو موسى وأن الذين كتبت لهم هم الاسرائيليون الخارجون من مصر ، ومع إنه هو وقراؤه الأولين كانت لغتهم قد تلونت بالاتصال القريب والطويل مع اللغة والعادات المصرية ، إلا أنها لم تفقد وجودها أو مميزاتها ـــ وإذاً فقد كانت هناك هذه اللغة التى كان يستعملها موسى نفسه وهى التى كتب بها التوراة كما يقول د . جويدا ، بل إن بعض عباراتها قد تسربت إلى الهيروغليفية نفسها فى « كتاب الموتى » !

أما الزعم بأن اللغة العبرية هى نفسها الكنعانية (اش ١٩ : ١٨) فهو لا يستند إلى أساس من الواقع أو التاريخ ، لأن العبرية والعربية قد اشتقتا من عابر ـــ لاكنعان ـــ وقد وجدت مخطوطات فى بابل وفى وادى قمران بالعبرية القديمة ، قام العلماء اليهود « الماسوريت » بتشكيلها وبمقارنتها مع النسخة السامرية التى سبق الاشارة إليها والترجمة السبعينية للعهد القديم ، تحقق مدى مطابقة القراءة الحالية للعهد القديم مع القراءة القديمة !

★ على أن النقد الحديث لم يقف عندما سلف ذكره بل تعداه إلى القول بأن أسفار موسى قد اندثرت عند سبى بابل وان عزرا الكاتب قام باعادة كتابتها ، واشترك معه عدد من المؤلفين على حد قولهم ، الأمر الذى جعلوا للتوراة عدة مصادر ، وظنوا أن لاجواب لدى أحد على مثل هذا الأعتراض المحبوك ، وردنا :

أولاً : لم يكن هناك نسخة واحدة من كتابة التوراة وهى التى كانت توضع بجانب تابوت العهد ، بل لقد أمر موسى نفسه أن ينسخوا منها نسخاً لتكون لدى الكهنة والقضاة وأن تقدم واحدة منها لكل من يجلس على عرش المملكة ـــ بل شهد يوسيفوس المؤرخ اليهودى بأنه أعطى لكل سبط نسخة بأمر موسى .

ثانياً : من المحقق أن هذه التوراة كانت موجودة أيام داود ، وقد أوصى بها ابنه سليمان ، كما كانت موجودة فى زمن ملوك يهوذا حتى ان يهوشافاط أرسلها مع لاويين لتعليم الشعب وفى أيام يوشيا وجد حلقيا الكاهن توراة موسى هذه وسلمها إلى شافان الكاتب الذى قرأ فيها أمام الملك .

ثالثاً : أما الزعم بانعدام التوراة فى واقعة سبى بابل فيدحضه قول دانيال : « فهمت من الكتب عدد السنين التى كانت عنها كلمة الرب إلى أرميا » (٩ : ٢) وهذه هى الكتب الالهية التى استلمها شيوخ اسرائيل من يشوع وسلموها للأنبياء وسلمها هؤلاء إلى السنهدريم (مجمع اليهود الأعظم) الذى أسسه نبى الله وكاهنه عزرا ...

وفضلا عن ذلك فإنه عند رجوع بنى اسرائيل من السبى البابلى وتدشينهم الهيكل الثانى قالوا لعزرا الكاتب أن يأتى بسفر شريعة موسى أمام الجماعة ، وقرأ فيها أمام الساحة من الصباح إلى نصف النهار (نحميا ٨) وهذا يدل على أنهم عقب العودة من السبى وجدت معهم نسخة من التوراة قرأوا فيها لأن نسخ التوراة كانت تحمل معهم أينما ساروا .

وكان عزرا أول من قام بجمع الكتابات المقدسة فإليه ينسب اليهود برأى واحد ترتيب أسفار العهد القديم القانونية وجمعها .

أما سبب هذه البلبلة التى تنسب إلى عزرا كتابة التوراة بعد فقدها فمنشأه أن العبرانيين كانوا يتكلمون اللغة الارامية فى بابل أثناء السبى ـــ وهى اللغة التى سادت بعد السبى إلى زمان السيد المسيح ـــ واضطر اليهود لذلك إلى كتابة كتبهم المقدسة بالآرامية بدلاً من العبرية القديمة ، لأن اليهود عندما كانوا فى سبى بابل كانوا أكثر إلماما بها ، ولذلك فإن اللغة العبرية التى كتب بها موسى تعتبر غير اللغة العبرية التى كتب بها عزرا والكُتَّاب المتأخرون حيث أنها تحتوى على كلمات أجنبية دخيلة على العبرية القديمة نتيجة للسبى ، ومن ثم كان اليهود الراجعون من السبى يتكلمون الكلدانية (الآرامية) ممزوجة بكلمات عبرانية ، لذلك كان يقتضى الحال عند قراءة الأسفار المقدسة للشعب ترجمتها إلى اللغة الكلدانية لكى يفهموها (نح ٨ : ٨) يفهم من ذلك أن اليهود الراجعين من السبى كانوا قد نسوا لغتهم فلزم الحال ليس تفسير المعنى فقط للسامعين بل ترجمة النصوص من الآرامية التى حلت محل العبرية . وقد حفظت العبرية القديمة فى أدراج المجمع ... وقد وجدت لهم بجزيرة الفيلة فى منطقة أسوان مجموعة من الوثائق المكتوبة بلغة آرامية عبرية على ورق البردى ترجع إلى زمان كورش !

يتضح من ذلك أن عزرا قد قام بترجمة التوراة التى كانت مكتوبة بالعبرية القديمة إلى الآرامية ـــ لأن اللغة العبرية فى مدى أعوام السبى ـــ ٧٠ عاما بدأت تضمحل ، **فاثار فيهم العامل الوطنى مع الدينى الرغبة فى إعادة مجدها ولم يكن ذلك إلا بالكتب المقدسة :** وهذا يوضح لنا قيام عزرا بتفسير التوراة فى الاجتماع العظيم الذى عقده للشعب الراجع معه من السبى ، والذى كان قد نسى (لغته العبرية القديمة) فكان يلزم ترجمتها إلى لغة الشعب التى كانت حينئذ وهى الأرامية ، **وقد جرت العادة فى المجامع أن تُقرأ مقتطفات من الأسفار المقدسة باللغة العبرية أولاً ثم تتلى بعد ذلك ترجمتها التى سُطرت فيما بعد ... كما أُخذت الترجمة السبعينية بالاسكندرية حوالى سنة ٨٢٠ ق.م. من العبرية القديمة أيضا التى كانت مكتوبة بها الأسفار المقدسة وقد جمعت من مخطوطتها ...**

* * *

هذا هو حقيقة ماحدث على يد عزرا يحمل الرد الكافى على ترهات مدارس النقد العصرية

فيما ارتأته باطلاً مما سبق أن فندناه ، ولكنها بنت على أوهامها هذه « **فكرة المصادر** » **التى زعمت أن التوراة كتبت منها إمعانا منها فى التشكيك فى كون موسى هو المؤلف البشرى للكتب الخمسة . أما الدخول فى مسألة هذه « المصادر » وتصنيفها والبحث عن مراجعها فقد اختلفت آراء النقاد أنفسهم فيها وتشعبت نواحى بحوثهم بشأنها واعترفوا بأنها مسألة معقدة لايمكن الالمام التام بمكنوناتها :**

غير أنهم أدركوا أن روايات التوراة المتكررة ابتداء من قصة الخلق تختلف فيما بينها حول لفظ « الجلالة » فأحيانا تستخدم لفظة « يهوه » وأحيانا اسم « الوهيم » وأدى ذلك بهم إلى القول باعتماد التوراة على مصدرين مختلفين ، لذلك قاموا بتقسيم المراجع إلى « يهوية » و« ألوهيمية » وقد أضافوا إليهما فيما بعد « المرجع الكهنوتى » الذى قيل بجمعه فى السبى وسموه قانون أو شريعة القداسة واعتبروه مصدرا ثالثا وادعوا بأن هذه المصادر الثلاثة هى أصل الأسفار الأربعة الأولى لأنهم جعلوا سفر التثنية مستقلا عنها وزعموا أن له هو الآخر مصدرا خاصا به رمزوا له بالحرف الأول منه !

وقد توقف وهوزن عند حد هذه المصادر ، وعاب عليه جنكل توقفه هذا مدعيا بأنه ربما ظهرت مخطوطة متأخرة زمنا قد تمثل تقليدا شفويا غارقا فى القدم ، وهذا هو منشأ الاعتقاد بأن هناك مصادر أخرى تبلغ خمسة أو ستة وقد اختلف « استرك » مع « ايوالد » فى منشأ هذه المصادر ونوعية الارتباط فيما بينها .

ويعنينا بالنسبة لهذه النظرية أنه ليس لهذه المصادر مؤلفون معروفون ولانسخ أصلية أو منقولة حتى يمكن الرجوع إليها ، كما أن أحداً لايعرف عصر تأليفها ولا كيف تجمعت عناصرها من هذه المصادر المزعومة ؟

وتستمر الدهشة وتزداد عند تقدمنا لبحث المصدر الثالث وهو « المرجع الكهنوتى » الذى ينسبونه إلى عهد السبى حين قام عزرا ـــ على حد قولهم ـــ بجمعه مع « كتاب العهد » (خروج ٢١ : ٢٣) و « كتاب القداسة » (لاويين ١١ : ٢١) بما فى ذلك شريعة الذبائح التى تتوافر الأدلة على وضعها على يد موسى نفسه !

* * *

إن مثل هذه الترهات لم تقم على واقع بل على افتراضات وهى تسقط جميعها عندما نعرف أن مؤلفى هذه المصادر وهميون قد افترض النقد الحديث وجودهم لتفنيد الدعوى الثابتة بنسبة الأسفار الخمسة الأولى إلى موسى ، ونحن نواجههم بعد كل الاستعراض السابق بسؤال حتمى مباشر وهو إذا لم يكن موسى هو كاتب هذه الأسفار فمن يكون مؤلفها إذاً ؟ وكيف جاز لهذه المدارس العصرية أن تبذل كل هذا الجهد الضائع فى نفى نسبتها لموسى فى مقابل هذه

المتاهات التى تأخذنا إلى عالم من المجهول والغيب لايمكن أن يكون مستقرا لايمان صادق ولابديلاً عن حق معلن !!

وأما استعمال اسم « الوهيم » فإنما جاء لاعلان نسبة الله إلى الكون « كالخالق » وأما استعمال اسم « يهوه » فهو اسمه الخاص الذى يوافق نسبته تعالى إلى الانسان وقد جاء فى افتتاح الجزء الثانى عن « الخلق » الاسمان معا « الرب الاله » (تك ٢ : ٤) وذلك لبيان أن الإله المنسوب إليه الخلق فى كلا الخبرين هو نفسه الاله الواحد !!

فليس المقصود إذاً من استعمال هذه الاسماء الإلهية التمييز بين مصادر مزعومة وإنما هى مايتفق مع تدرج الاعلان الذى قدمه الله عن ذاته منذ البداية ـــ ترى من أين كان يمكن الحصول على مثل هذه الادراكات السامية عن الله إلا من كتاب الله الذى ينفرد بها دون الفلاسفة والمفكرين !؟

وفضلا عن ذلك فإن آثار رأس شمرا ويوغارت قد أكدت معرفة هذه الاسماء الالهية « الوهيم » و « يهوه » قبل تاريخ المصادر المزعومة بألف سنة ، وقيل أن أقدم هذه الآثار يصل إلى عصر يسبق موسى بسبعمائة سنة مما يجعل هذه المصادر الافتراضية خاطئة وغير سليمة !!

* * *

وإذ قد فشلت نظرية « المصادر » وثبتت صحة الاعتراف بأن موسى هو مؤلف الأسفار الخمسة فإنه من السهل عندئذ مجابهة الاعتراضات الجانبية التى أثارها الجدليون العصريون ومنها مثلاً : هذا الاعتراض الأخير الذى يدور حول التساؤل عن كيفية كتابة موسى لقصة موته بالكامل فى نهاية التوراة :

واعتراضهم هذا مردود لأنه من المسلم به أن تدوين خبر موته والشهادة عنه المرفقة به بأنه لم يقم نبى مثله إنما قد أضيفت بواسطة كاتب آخر ، والمرجح أنه يشوع خليفته ـــ الذى استلم التوراة منه ـــ وقد أتمها بما سلف بيانه وبذلك قد أتم لموسى أسفاره الخمسة وأكملها وتقرر بحسب قصد الله منذ ذلك الوقت نسبتها إليه وهى كذلك دائما .

الخلق بين علم الجيولجيا والوحى

« فى البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض
خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة » (تكوين ١ :١و٢)

*** مقارنة بين العلم والوحى :**

تقول مدارس النقد على يد الفلسفة العصرية بأن هناك متناقضات علمية لرواية الوحى عن « الخلق » ، « ولكن هؤلاء يفترون على مالا يعلمون » (يهوذا ١٠) ، وسنقدم البرهان القاطع على أن العلم لاينقض الوحى ، لأن كتاب الوحى هو السابق فى الاعلان عن الخليقة قبل أن يتصدى العلم لزمان وكيفية نشأتها وذلك بنظرياته المتطورة التى تحول الناس إلى الظلام وفوضى الفكر كما سنرى عند البحث الدقيق ... !

ولكننا نمهد لذلك بالقول الذى ظهر أخيراً ـــ بعد حادث انفجار تشالنجر وهو : « استحالة تقرير عدم احتمال حدوث خطأ ـــ من جانب العلم على الاطلاق ، فهذا أمر لم يعد له وجود البته ، حتى أن اليقين العلمى قد اندثر تماما ، وأصبح من مخلفات عصور الجهالة الدالة على قصور تصورات العلم ـــ ولذلك فهو دائم التغير ، وهذا من علامات تقدمه ـــ ومن ثم فقد تبخر اليقين من عالم العلم حتى شاع القول ـــ ان العلماء ليسوا على يقين من أى شىء .» . فى حين أن الكتاب المقدس ـــ وان لم يكن بطبيعة الحال كتابا علميا ، ولا هدفه أن يجعل منا علماء ـــ لأن مقصده إنشاء العلاقة بين الانسان وخالقه ـــ إلا أن المحققين قد وجدوه ـــ فى ضوء امتحانه بسائر العلوم ـــ معجزة علمية فائقة حتى أن أحدث لاكتشافات تتفق معه ! وهذا يقودنا إلى التقدم لمواجهة التناقضات العلمية المزعومة لرواية الخلق الوحيية على النحو الآتى بيانه :

*** تفسير المدارس العصرية البيان المجمل الذى يقدمه الوحى عن الخلق تفسيرا علميا بحتا ، الأمر الذى أدى بها إلى التطاول على هذا البيان بفرضها عليه تحديده لعمر الخليقة بستة الآف سنة على خلاف مايقول به علماء الجيولوجيا (طبقات الأرض) والحفريات وعلم الفلك أيضا من جهة قدم السموات والأرض :**

وردنا أن هذا الذى ارتأته الفلسفة العصرية فى نقدها الأول للكتاب المقدس إنما مرجعه عدم إلمامها بحقيقة ماجاء فيه بالوحى خاصا بالمخلوقات ، من أنها مخلوقات خلقين وليس خلقا واحدا ـــ أحدهما أى الخلق الأول خاص بمخلوقات الاحقاب ولم يكن منها الانسان وقد

انقرضت ، والآخر هو الخلق الحديث الذى ظهرت فيه مخلوقات الأيام الستة ، وخاتمتها الانسان وهى المستمرة حتى الآن ... !

وعلى ذلك يكون الخلق الأول البعيد المدى هو خلق آخر غير إعداد الأرض فيما بعد وخلق آدم أبى البشر عليها وبدء تاريخ البشرية الذى استنبط المؤرخون تقديره بستة الآف سنة تقريبا وذلك من سلسلة الانساب الواردة فى الكتاب المقدس بدءاً بسفر التكوين .

ولذا فهناك إجماع إنه يوجد ملايين السنين بين عددى ١و٢ من سفر التكوين الاصحاح الأول ولانعرف مداها وهى التى تعرف بالأحقاب الجيولوجية ، وهكذا اختفى هذا الاختلاف الظاهرى المزعوم بين العلم والوحى وتأكد اتفاقهما فى هذا الشأن !

وهذا ينفى التناقض الذى ذهبت إليه مدارس النقد العصرية بتصورها أن الخلق إنما كان خلقاً واحداً لاخلقين ، مما يجعل بحسب زعمهم هذا باكورة أعمال الله أرض خربة جرداء ... على خلاف المستنبط من أقوال الوحى بأنها خلقت كاملة منتظمة يشهد بذلك النص : « **لأنه هكذا قال الرب خالق السموات هو الله . مصوِّر الأرض وصانعها . هو قررها . لم يخلقها باطلا . للسكن صوَّرها** » (**اشعيا ٤٥ :١٨**) **وبحسب النص الانجليزى : « هكذا قال الرب الذى خلق السموات ، الله نفسه الذى شكّل الأرض وصنعها . هو أسسها ... شكّلها لكى تسكن » وهذا لايتفق ــ بكل تأكيد ــ مع القول الوارد فى تكوين ١ :٢ « وكانت الأرض خربة (أى بلا شكل) وخالية (أى بلا من يسكنها من كائنات لم يكن ضمنها الانسان) ، وتتأكد لنا هذه الحقيقة من نص آخر قد ورد فى سفر أيوب وهو : « أين كنت حين أسست الأرض من وضع قياسها ... على أى شىء قرت قواعدها .. عندما ترنمت كواكب الصبح معا وهتف جميع بنى الله (٣٨ :٤ــ٧) وهذا يكشف دخول الأرض فى نطاق الخلق الأول وسط تسبيح الملائكة وهتافهم ! ولذلك ورد القول : « من قدم أسست الأرض والسموات هى عمل يديك » (١٠٢ :٢٥) .**

أما كون الأرض قد تغيرت عن حالتها هذه و لم تحتفظ بكمالها الأصلى فيدل عليه ما أورده أرميا ونصه : « نظرت إلى الأرض وإذا هى خربة وخالية وإلى السموات فلا نور لها . نظرت إلى الجبال وإذا هى ترتجف وكل الآكام تقلقلت . نظرت وإذا لا انسان وكل طيور السماء هربت . نظرت وإذا البستان برية ... من وجه الرب من وجه حمو غضبه » (٤ :٢٣ــ٢٦) .

ويربط الوحى هذه الكارثة التى حلت بالأرض وحولتها إلى ما وصفت به فى تكوين ١ :٢ ، بسقوط الشيطان (زُهرة بنت الصبح الذى يصفه اشعياء عند سقوطه من السماء بأنه قُطع إلى الأرض ... وتزلزلت الأرض بسببه وصار العالم كقفر (١٤ :١٣و١٦) وذلك

لأن الله بدأ يطرحه إلى الأرض (بعد أن كان الكروب المظلل) (حزقيال ٢٨ :١٦و١٧) وكان ذلك تحت غضب الرب كما أشار آرميا !!!

يتبين لنا من ذلك ضرورة أن تكون الأرض فى خلقها الأول منتظمة وعامرة فى ابدع تكوين مع السموات ، وعليه فإن ماورد عنها فى تكوين ١ :٢ لايمكن أن يكون وصف لحالتها الأصلية عندما خلقها الله فى البداية !!

فإن كان النقد العصرى يتغاضى عن اعلانات الكتاب المقدس المتكاملة فيبدأ بالأرض خربة وخالية فإن اعلانات الوحى التى قدمناها آنفا تجابهه إذ هى ترينا الله ــ الخالق العظيم ــ خالقا السموات والأرض خلقا منتظما ــ هذا هو الخلق الأصلى الذى فيه ترنمت كواكب الصبح وهتف بنو الله (الملائكة) وذلك تكريما وإجلالاً لمن خلقها باتقان فائق للتصور (عبرانيين ١١ :٣) وأما ماحدث فيما بعد فإنما هو شروع من جانب الله فى إعادة تعمير الأرض من جديد بعد الخراب لاعدادها لخلق آدم عليها وهذا هو بدء تاريخ البشرية .. ومن ثم فإن زماننا البشرى يبدأ بأول يوم من الأيام الستة التى وجدت فيها الخليقة الموجودة الآن ..

أما متى كان هذا « البدء » ــ الذى بدأ فيه الخلق الأول وهو المقصود فى النص الوارد فى تكوين ١ :١ ــ فلا أحد يعلم لأن الكتاب لم يخبرنا عن ذلك ، ولا كان أحد وقت هذا الخلق ولا الخلق الثانى الذى تلاه والذى كان آدم أبو البشر خاتمته ، ولذلك فإن الزمن الذى استغرقه هذا البدء الذى خلقت فيه مخلوقات الخلق الأول مجهول تماما ، ولم يشر إليه الوحى المقدس ، ومن ثم فإن كاتب سفر التكوين لم يبين لنا بأى حال من الأحوال تاريخه وبناء عليه فإن ادعاء مدارس النقد العصرية بأن العلم قد استنبط من اكتشافاته أن الخلق قديم جداً ، وظنت بذلك أنها قد استطاعت تخطئه الكتاب المقدس إذ ربطت تاريخ ظهور الانسان على الأرض وبدء تعميرها بالخلق الأصلى القديم الذى يتضمنه العدد الأول من تكوين ١ ، وقد ظن أصحاب الفلسفة المادية انهم وجدوا مايبنون عليه فلسفتهم الالحادية هنا بقولهم : « ان كان عمر الخليقة ٦٠٠٠ سنة فقط كما استنبطوا ما توهموا بأن الكتاب المقدس يقوله ، فكيف يتفق ذلك مع قول العلم بأن عمر قشرة الأرض ٥٠٠٠ مليون سنة ، فتكون رواية الكتاب المقدس بذلك غير صحيحة .. »

وقد رد مستر كلى فى كتابه « فى البدء والأرض الآدمية » بالقول : « ان الكتاب المقدس لم يقل بل ولم يشر قط ان السموات والأرض خلقت منذ ٦٠٠٠ سنة وإنما قال : فى البدء خلق الله السموات والأرض .. وهذا بدء قديم قبل التاريخ . هذا وقد وردت كلمة '' البدء '' هنا فى الأصل بغير أداه التعريف أى فى بدء » ــ فليقل علماء الفلك عن الوف بل ملايين السنين الضوئية التى يقيسون بها عمر الكون ، وليقل علماء الجيولوجيا مايرون لهم فى ذلك بالنسبة للأرض وبعضهم يرجع ببدء الخليقة المادية إلى ٢ بليون سنة (البليون

يساوى ألف مليون)[1] فليس فى أقوالهم ما يتعارض مع الأزمنة السحيقة التى مرت بين قدم الأرض بنباتاتها وحيواناتها الأولى ، وبين تجديدها الذى استغرق الأيام الستة الأولى أول أسبوع فى التاريخ البشرى .. هو أصل أسبوع الأيام عند كل شعوب الأرض !

وبذلك قد أثبتنا فساد الادعاء بوجود أخطاء علمية فاحشة بتصور التناقض بين بدء تاريخ البشرية المتعارف عليه وبدء عمر الخليقة الذى تحاول الجيولوجيا متعاونة مع الفلك البحث عنه فى بدء سحيق للغاية . وبهذا الذى بيّناه يتحدى الكتاب المقدس لغة الأرقام التائهة فى عالم الخيال بالنسبة لبدء الخليقة والتى لاتقوم سوى على افتراضات !

* * *

أما لماذا انقرضت مخلوقات الخلق الأول (من حيوانات ونباتات) فإننا نكتشف حكمة الله الفائقة فى ذلك إذ انه سبحانه أراد خلال تلك الاحقاب (التى يقدر بسببها الجيولوجيون عمر الأرض بملايين السنين) أن يخزن فى بطن الأرض للانسان الذى كان مزمعا أن يخلقه كنوزاً من الفحم والبترول لايزال يستخرجها وينتفع بها والوحى يسميها « خزائن الأرض » ويستمد الانتفاع بها إلى الملكوت العتيد المعد منذ تأسيس العالم !!

*** ادعاء النقد العصرى بأن تاريخ ظهور آدم المتعارف عليه بستة الآف سنة لايتفق مع ما اكتشف فى الحفريات من جماجم وآثار لجماعات انسانية ـــ يزعمون انها تؤيد رأيهم فى وجود أجناس بشرية منذ عشرات الالآف من السنين ... يقول هذا موريس بوكاى الذى مع اعترافه بجهل تاريخ ظهور الانسان على الأرض يقدره بنحو عشرة الآف سنة قبل التاريخ الميلادى ... الخ ! وقد اخترعت نظرية التطور هنا للتوفيق بين الاحقاب الجيولوجية القديمة وحداثة المخلوقات البشرية ولو بحسب التقدير سالف الذكر .**

ونبدأ ردنا على هذا الاعتراض بالقول انه وإن كانت « البشرية » جزءاً من الخليقة ، إلا أنها ليست الخليقة بالمعنى المطلق الذى يشمل عالم الأرواح وعالم الحيوان والنبات والجماد (لا الانسان وحده كما حاولت مدارس النقد أن تصور لاخفاء الحقيقة) ومن ثم فلا معنى للخلط بين تاريخ خلق العالم وتاريخ ظهور الانسان على الأرض (وقد سبق أن فندنا رأى النقد القائل بأن الكتاب المقدس يقرر بان العالم قد خلق منذ ستة الآف سنة) فقد يكون بين خلق العالم وظهور الانسان مليارات من السنين ! ويتحدث العلامة كارل دنبر عن

(١) ملاحظة : تقاس مسافات بين مواقع النجوم والكواكب بالسنة الضوئية وهو التى يقطعها الضوء فى الفضاء فى سنة كاملة (٣٠٠ ألف كم فى الثانية) بينما يقاس عمر الأرض بدراسة طبقات الأرض والرواسب المتركمة على قاع البحار والمحيطات من أملاح ورمال ودراسة الصخور بأنواعها ....

« المرحلة المتوسطة » بقوله : « انه قد مر بالأرض عصر جليدى دام مليون سنة ، أما العصر الحديث الدافىء فيقدره بستة الآف سنة فى المتوسط وهى تتفق مع مدة عصرنا البشرى الحالى ... » .

ويصف وليم كلى هذه المرحلة فى كتابه : (فى البدء والأرض الآدمية) بقوله : « ان الصعوبة الكبرى التى تواجه علماء الجيولوجيا هى قبولهم الانقلابات المدمرة التى لاحقت مخلوقات الخلق الأول فى أحقابها والتى اخرها الانهيار الجليدى السابق لعصر الانسان مباشرة والذى طغى على الأرض وجثم على قلبها مئات الالآف من السنين بجباله الثلجية واجوائه المطيرة وصواعقه الكهربية ورياحه العاتية ، والذى ما ذاب نتيجة للانهيار صار مياها غامرة تغمر كل الكرة الأرضية والظلمة الدامسة تكسو ذلك الغمر العميق الرهيب — عصراً هذا وصفه يدوم عشرات الالآف من السنين كقول الجيولوجيين ، أم يكن كافياً لأن يحطم ويجمد كل كائن حى — كان على وجه الأرض — بريا وبحريا وجويا !؟ هذا هو الوصف العلمى ما يذكره الوحى بكل وضوح فى قوله : « وكانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة » ، فهى قد صارت خربة كمسكن ؛ وخالية مما كانت آهلة به من كائنات حية نباتية وحيوانية باخلق الأول أما عن ظهور اليابسة من قلب هذا الغمر ، فقد أيده العلم باقراره بظهور القارات فى فترة كانت فيها الأرض مغطاة بالماء ... !

* * *

وقد توصل علماء طبقات الأرض من دراسة الآثار والحفريات إلى أن مانعرفه اليوم من كائنات حية لايمثل إلا نسبة ضئيلة مما كان يعيش على ظهر الأرض فى الماضى البعيد من أنواع النبات والحيوان (والتى تختلف فيما بينها وتتشابه) ، ثم انقرضت لتفسح مكانا لما يملأ الأرض اليوم من سلالات وأنواع — وهذا يتفق مع قول الكتاب : « تنزع ارواحها فتموت وإلى ترابها تعود . ترسل روحك فتخلق وتجدد وجه الأرض » (مز ١٠٤ : ٢٩و٣٠) وهو فى الواقع وصف ما طرأ على مخلوقات الخلق الأول وتجديد وجه الأرض تباعا بمخلوقات جديدة متتابعة خلال سلسلة طويلة من الاحقاب مما تشهد له الحفريات !!

وبينما يقول وليم كلى فى كتابه سالف الذكر : « بأن كل ماينا ضل به العلم هو وجود كائنات فى خلقنا الحالى شبيهة بمخلوقات الخلق الأول القديم الذى انقرض وتعليل ذلك هو أن الله عاد فخلق فى خلقنا المعاصر بعض ماكان قد خلقه فى الخلق القديم مما وجد فيه — طبعا — صالح الانسان » إذ بالعالم الفرنسى جورج كوفيه يرجع اختلاف الأنواع الحالية عن الأنواع المنقرضة إلى تتابع سلسلة الثورات والانتقالات التى كانت تنتاب الأرض من

حين لآخر فتهلك مايعيش عليها من حيوان ونبات . وإن هذه الكوارث قد بلغ عددها من حساب طبقات الأرض نحو اثنتى عشرة كارثة مدمرة ترتب عليها بالتتابع فناء مخلوقات ، ثم قيام مخلوقات جديدة مختلفة عن سابقتها حتى وصلنا إلى مانرى الخليقة عليه الآن » .

وقد أشار د . ادوين فى كتابه « العلم الحديث والايمان المسيحى » إلى هذه الظاهرة التى يراها الذين يزورون مرتفعة ريدج النموذجية بامريكا حيث يجدون اثنتى عشرة طبقة من الغابات المتتالية فوق بعضها متجمدة ومتحجرة ومعظمها فى وضع رأسى ظاهر » .

أما عن « الآثار البشرية » التى تزعم مدارس النقد العصرية بوجودها قبل التاريخ الذى حدده الكتاب المقدس لظهور آدم بملايين السنين ، وانها لما يسمونه « انسان ماقبل التاريخ » وهم يحاولون البحث عنه فى الحفريات المتحجرة ضمن طبقات الأرض والتى تركت آثارا منطبعة فى الصخور أو فى الرمال ملايين السنين ، يزعمون بسببها وجود أجناس بشرية وأن ذلك أصبح حقيقة علمية جغرافية ــ على حد قولهم ــ وقد تقرر تدريسها .

وهم يزعمون أن قبول تدريسها ــ فى حد ذاته ــ يؤيد صدقها ، دون أن تتحقق نسبة أية واحدة من تلك الآثار البشرية كإثبات لما يدّعونه ، مما لايجوز معه الاقرار بوجود بشر ــ قبل خلق آدم حسب التاريخ الوارد فى الكتاب المقدس ــ تأسيساً على تسليمهم الباطل بوجود تلك الآثار ! الأمر الذى لم يقم الدليل عليه بعد رغم كثرة الأبحاث وتعددها بشأنه .. والتى انتهت برأى قاطع عن تلك « الآثار » التى تقول بقدم الانسان بأن معظمها إنما هو لحيوانات منقرضة والقليل منها بقايا حديثة أمكن تحديد عصرها وقد أقر علماء الحيوان والحفريات بأنهم لم يصادفوا واحداً منها يمكن اعتباره بصفة قاطعة حلقة تربط بين آدم والخليقة الأولى القديمة سواء كان ذلك بين الحيوانات المنقرضة أو الموجودة ، وهذا بعينه ماقرره د . ابراهيم فارس فى كتابه « الجيولوجيا الحديثة » بقوله :

« ان الاجناس المنقرضة ليست من البشر ، فالبشر جنس واحد ونوع واحد باق غير منقرض من يوم وجوده ... بل إن الانسان الحديث نفسه لم يعثر على بقايا هياكل له فى تلك العصور القديمة أى عصور الخلق الأول المنقرض ولكن عثر عليها فى صخور العصر الحديث وهو لا يختلف بالمرة عن بقايا الانسان الحالى » .

ولكن لما رأى العلماء اختلاف تلك المخلوقات المنقرضة عن هذه الباقية ، فى زمانها واحجامها وأعمارها ــ وهم يجهلون حقيقة ماقاله الوحى ــ حلوا المشكل مع انفسهم باختراع « نظرية التطور » التى نادى بها داروين (١٨٠٩ ــ ١٨٨٢) وحاول فرضها لتكذيب رواية الكتاب من انقراض المخلوقات القديمة وفصلها فى ذاتها وفى تاريخها عن الجديدة بما سلف بيانه !

ومع أن داروين نفسه كان ــ وكذلك بالنسبة لبعض خلفائه يحاول التوفيق بين نظريته

وعقيدة الخلق المباشر بقدرة الخالق إلا أنهم قد اتفقوا فى فرض التطور باعتبارة اسلوب الله فى خلق الخليقة : وفى الواقع هم قوم متناقضون لأن نظريتهم فى طبيعتها مادية ، وهى ليست إلا محاولة لتفسير حقائق البيولوجيا (علم الأحياء) من خلال نواميس الطبيعة ، من غير لجوء إلى فكرة القوة الخارقة للطبيعة أى القوة الالهية الخالقة !

ولا شك ان « الآلية » و « المصادفة » هما عنصرا جوهر نظريتهم ، بالاضافة إلى بطء هذه النظرية إذ ما الغاية — ما دام هدف الله هو خلق الانسان فى النهاية — من ظهور الدنيا صور مثلاً ليسود الأرض ويطوف بها ملايين من السنين ثم ينقرض قبل أن يظهر الانسان بزمن طويل !؟ وفضلا عن ذلك فان لا ارتباط بينه وبين الانسان !!

فضلاً عن قسوة هذه النظرية إذ هى ترتبط بما اخترعوه لمساندتها وهو : « **الصراع لأجل البقاء — وبقاء الأصلح** » ومعنى ذلك ان من حق القوى ان يبطش بالضعيف ويستأصله ، مع ان هذا الصراع نفسه ليس من أدلة الصلاح ، ولا يفسر لنا الجمال الذى فى المخلوقات والذى لا يمكن أن يكون من آثار الصدفة العمياء ، ومن المعلوم ان الصلاح والجمال من أبرز صفات الله فى تكوين الطبيعة !

وواضح عند التحليل النهائى لنظرية التطور أنها هى التى ولدت النازية والشيوعية والاباحية ، فهى التى رسمت طريق التحلل والتعدى وجعلت الفوضى والاقتتال هما قانون البقاء والارتقاء !

وهم يعتبرون التطور من بعض الاوجه بفرض أن القوقعة صارت سمكة والسمكة زحافة وهكذا إلى أن ظهر القرد ومنه جاء الانسان ... وأخذوا يجتهدون فى البحث عما يسمونه « بالحلقة المفقودة » بين القرد والانسان ، ورغم كل مابذلوه من جهد لاتزال هذه الحلقة التى يبحثون عنها « مفقودة » — وهى ليست عندهم حلقة واحدة بل حلقات مفقودة (الكائنات التى لها تركيب وسط بين نوع وآخر) رغم بحثهم عنها عبثا فى الرواسب أما بقايا انسان كرومانيون أو انسان جاوه — وامثالهما من بقايا حاولوا أن يربطوا بها بين الانسان الحالى والأصل المزعوم الذى نشأ منه ، فقد اثبت الفحص انها بقايا حيوانية للعصور الخوالى ويستحيل إتمام الربط بينها وبين الانسان ، مما جعل العلماء اليوم يقررون بأن نظرية التطور ليست فى حكم اليقين !

واذ قد ثبت ان هذه البقايا المزعومة ليست لبشر حقيقيين ، فإننا نجابه هذه الفلسفة العصرية مكتفين بما كتبه غيرنا فى الرد عليها مثل كتابى : « تصدع مذهب داروين » و « بطلان نظرية التطور » !

ونختم هذا البحث بما أورده سير راوسون فى كتابه « فضح هرطقات » بقوله : « **اننى لاأعرف شيئا عن أصل الانسان إلا ما يذكره لى الكتاب المقدس** ، ولا أعرف شيئا أكثر من ذلك ، كما إننى لا أعرف إنسانا لديه معلومات أكثر من ذلك » وليست كل هذه المحاولات إلا لأنه لايتفق مع كرامة العلم القول بأنه لا يعلم شيئا عن أصل الانسان ، لأنه فى حقيقة الأمر أنه لايعلم ولكنه يجاهد لاخفاء هذه الحقيقة !

بقى أن نختم هذا الفصل بمواجهة ذلك التفسير النقدى المتعسف الذى يعتبر « أيام الخلق ــ الجديد ــ الستة ، هى الاحقاب القديمة ، الأمر الذى دعاهم إلى اعتبار الخلق خلقاً واحداً متصلاً اصبحت به مخلوقات الأيام هى نفسها مخلوقات تلك الأحقاب ، زاعمين بان اعتبار أيام الخلق (الثانى) الستة بما فيها الأيام التى وجدت قبل الشمس بأنها أيام طبيعية وحرفية يتكون كل منها من ٢٤ ساعة هو خطأ علمى فادح لأنه لايتفق مع العلم الذى حدد اليوم بأربع وعشرين ساعة هى دوران الأرض حول نفسها دورة كاملة أمام الشمس :

وردنا بشأنه : ان هذه الأيام كلها أيام طبيعية ، لأنه لا يمكن أن تكون الأيام طبيعية ابتداء من اليوم الرابع بدوران الأرض حول نفسها أمام الشمس الدورة اليومية التى مداها ٢٤ ساعة والتى بسببها يتكون الليل والنهار ... لأن النظام الشمسى للثلاثة أيام الأخيرة ــ أى من بعد اليوم الرابع ــ ينفى انها احقاب ويحتم أن تكون أياما حرفية يتكون كل منها من ٢٤ ساعة بسبب الشمس ، ومن ثم لابد من ان تكون الأيام السابقة لها كذلك أيضا أياما حرفية وليست أحقابا طويلة كما ظن البعض ... ومما يؤكد وحدة هذه الأيام ماجاء فى الوصايا العشر وهو حاسم فى تقريره ان أيام الخلق الستة هى أيام وليست أحقاب (خروج ٢٠ : ١١) ولقد تحدد اليوم الأول منها بدوران الأرض أمام النور : وليس من المهم هنا أن نأخذ العلم مقياسا للوحى ، لأن الوحى فوق العلوم كلها ولا يتقيد بمحدوديتها ، فان كان العلم يثبت الليل والنهار بالشمس ، إلا أن هذا لايعنى قط أن الله غير قادر أن يوجد المساء والصباح بمجرد دوران الأرض أمام النور من اليوم الأول ويزيد هذا الأمر تأكيداً ذكر المساء والصباح فى كل الأيام بدون تفريق وهذا حسم بأن كل يوم منها كان يوما طبيعيا ، والله هنا هو الذى دعا النور نهاراً والظلمة دعاها ليلاً منذ اليوم الأول . وكلمة « نهار » فى اللغة العبرية تعنى « حركة » وأما معنى كلمة « ليل » فهو « تحول » ، وهذا فى حد ذاته يثبت دوران الأرض حول نفسها أمام النور منذ اليوم الأول الأمر الذى بسببه تكوّن الليل والنهار منذ ابتداء هذا الخلق الثانى دون أية ضرورة لاعتبار هذه الأيام احقابا طويلة المدى مع مافى ذلك من خلط بينها وبين الأحقاب الجيولوجية التى أثبتتا اتفاق العلم والوحى على

وجودها بين الحقبين الأول والثانى ! وفضلا عن ذلك فان النباتات والحيوانات ما كانت لتعيش لو كانت أيامها أحقابا من ملايين السنين ، كما أن نظرية الأحقاب هنا تشكل من عمر آدم صعوبة كبرى إذ تجعله ملايين السنين ، مع ضرورة مراعاة قدرة الله المطلقة التى تجعلنا نعتقد بازائها ان ما عمله الله خالقا إنما كان فى لحظة فهو لايستدعى اليوم كله لا الحقب (الذى لم تتحدد عدد سنينه) ! ولعل فى كل هذا ، الاقناع الكافى لمن يريد أن يقتنع من الناقدين !!

الفصـــل الرابع

الخلق بين علم الفلك والوحى

« السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر
بعمل يديه » (مزمور ١٩ : ١)

أثارت مدارس النقد العصرية اعتراضات عديدة ضد التوراة بدأتها بالادعاء بوجود آدم منذ عشرة الآف سنة قبل الميلاد ، وربطت بين العددين الأول والثانى من تكوين ١ لكى تسد الثغرة التاريخية التى بينهما وتخلق تناقضات بين علم الجيولوجيا والوحى ولكنها لم تتوقف عند هذا الحد ، بل تعدته إلى علم الفلك بأن نسبت لقصة الخلق التى سطرها الوحى فى فاتحة سفر التكوين الخطأ لأنها ذكرت خلق الأرض أولاً قبل خلق الشمس والقمر ... !

ويتجه النقاد العصريون تأسيسا على ذلك إلى التهكم على رواية الخلق الوحيية بالقول : **« يبدو أن من كتب سفر التكوين أخطأ فى ترتيب الأيام » وردنا على ذلك هو : « إن ترتيب الوحى يسمو فوق تقريرات العقل والعلم ، فإن المنطق البشرى مثلاً يستغرب ايجاد النور قبل ذكر الشمس ، ويفترض ان ما ذُكر فى اليوم الثانى عن الجلد يأتى فى اليوم الأول ، وما ورد فى اليوم الرابع عن وجود الشمس والقمر يأتى فى اليوم الثانى ، وهكذا حتى يتمشى الترتيب مع العقل ... ولكن ماكتبه موسى هنا لم يكتبه من عقله ولا نقله من أحد بل تلقاه ــ بالوحى ــ باعلان مباشر من الله الذى صنع كل هذه الأشياء بهذا الترتيب واظهرها له فى رؤى مرت أمام عينى عقله فى صورة سلسلة من المناظر ــ مناظر الخلق واحدا بعد الآخر ، فوصف بالدقة مارآه ، وليس ببعيد انه لم يحط بما رأى ادراكا ، والمرجح أنه رأى هذا كله ــ اذ هو أبعد من أن يصل إليه عن طريق النقل الشفاهى من آدم أبو البشر لصعوبة تواتره ووصوله بشريا ــ ولكنه وقد حصل على مناظر الخلق باعتباره نبيا بل وكليم الله فقد أمره سبحانه أن يكتبها هكذا ...**

وهذا يسقط الادعاء على ماكتبه موسى هنا ــ وأنبياء الله من بعده ــ بأن بعض الأيدى المغرضة قد امتدت لأصل نصوص الكتاب المقدس فحرفت فى نصوصه وبدلت وغيرت فى وقائعه واحداثه ... وعندما نطالبهم بتقديم البرهان الذى يستندون إليه فى ادعائهم هذا نجدهم رغم البحث والتنقيب يتهربون برد سخيف وهو : « أن الهدف فى هذا المجال ليس هو الخوض فى نقد الكتب المقدسة » ولسنا ندرى ماذا يكون الهدف إذاً ، فى حين ان توقفهم عند حد هذا القول إنما يعنى بانهم يفتقرون فعلاً إلى الدليل ، وإلا لبينوا لنا تلك النصوص التى يزعمون تحريفها بتقديم بدائلها الصحيحة وردها لأصولها ... ولكنها أقوال مختلقة ينقلونها بعضهم عن بعض ويزعمون صحتها دون بحث دقيق أو رؤية صادقة فهى بدون سند معقول أو منطق

مقبول .. ومن ثم فإن دعواهم هذه تسقط تلقائيا أمام الفكر الأوسع والمناقشة النزيهة ، فهى لذلك جديرة بالالتفات عنها !!

نعود الآن الى اعتراضهم ــ موضوع هذا الفصل ــ الذى يريدون به إحداث التضارب بين علم الفلك والوحى بالادعاء بأن الأرض كانت جزءاً من الشمس وانفصلت عنها عندما اصطدمت الشمس ينجم عظيم فانفصلت منها كتلة كونت فيما بعد المجموعة الشمسية ومنها الأرض : وتُعرف هذه النظرية بنظرية « السديم » وهى التى تجعل الشمس أسبق فى الوجود من الأرض فكيف يذكر كاتب سفر التكوين خلق الأرض أولاً .

وردنا على ذلك أن هناك نظرية أخرى تقول بأن الشمس والكواكب قد تكاثفت كلها من سحابة غازية فى وقت واحد وأنها كانت تدور فى الفضاء بسرعة فائقة وكانت تتقلص بعامل البرودة المتناهية التى تشيع فيه وتتمدد بعامل الحرارة الناجمة عن الحركة وبدأ يتناثر منها قطع تتخذ لنفسها مدارات فى الفضاء ... بل أن هناك نظرية ثالثة تقول أن أصل الاجرام نيازك وشهب كانت تدور فى الفضاء بسرعة هائلة ويصطدم بعضها ببعض وبالتحامها ببعضها تكونت الشموس والأقمار والأرض والنجوم ... الخ .

وأما أحدث نظريات العلم فتقول : « **أن الخلق حدث ذرى هائل يفوق الخيال ، فإن قدرة خالقه بثقت وقت الخلق من العدم بحراً من النور والاشعاع ، فتفجرت العناصر الكيميائية فى ملايين الاشكال من المجرات والنجوم ، وصارت تسبح فى الكون كالجزر العائمة فى غياهب الفضاء ويسمى ذلك « بالخلق الانفجارى » !**

* * *

و لم يستطع العلم أن يبت فى هذه النظريات ولايزال العلماء يناقشونها هى وغيرها محاولين البحث عن زمان وجود الشمس والقمر والأرض وباقى الاجرام ، وهل وجدت كلها معاً فى تاريخ واحد ، وهل كلها من أصل واحد ... ليس للعلم قولاً باتاً بل هو مازال فى دائرة البحث والمناقشة و لم يصل بعد إلى كلمته الأخيرة ــ **وهو بذلك لايناقض اعلان الوحى عن خلق الأرض خلقا مباشراً عندما خلقها الله فى البدء مع السموات** ! وبذلك فقد سقط هذا الاعتراض لأن العلم نفسه لايسانده و لم يحسم فيه حتى يكسبه حجية ما ــ **وفضلاً عن ذلك فإن الأرض هى الكوكب الذى ظهرت فيه الحياة وتم على أديمها الفداء العظيم فلا غرابة من جعل الوحى لها المحور المركزى** عند سرد قصة الخلق وكيف أن الاجرام السماوية الأخرى خاصة الشمس والقمر يخدمانها دون أن يذكر قط عن الأرض أنها هى مركز الكون أو ينازع بذلك الحقائق العلمية :

وبذلك انتفى التعارض بين علم الفلك والوحى وظهر اتفاق احدث تطورات علم الفلك

الحديث مع الوحى اذ قد اعطتنا التأكيد أن حرارة الشمس ليست سوى تفجير ذرى كما نبذت تماما نظرية السديم القائلة ان الشمس اصطدمت بنجم عظيم فانفصلت منها المجموعة الشمسية ومنها الأرض ــ وهى التى أرادت بها مدارس النقد تخطئه الوحى ــ وهى مبنية على أساس ان هذه المجموعة جزء من مجرة تتكون من أجسام غازية كانت فى طور التكوين وان الشمس والكواكب كانت ضمن هذه الأجسام وكانت كتله هائلة من الغازات المضيئة والمواد المنصهرة ثم تكاثفت معا وتناثرت وترى تلك النظرية ان تلك المواد والغازات كانت سديما منيراً قبل تكوّن الشمس التى خرجت منها الكواكب والأرض لتكون توابعا لها ...

ومن أدلة تنحية العلم اليوم عن القطع فى هذه المجالات انه كان يقول ببقاء المادة ، وهو يعنى الآن إمكانية تحويل المادة إلى صور إشعاعية كالضوء والحرارة ــ أى تحويل العنصر والحصول على نظائر ــ وهو فى ذلك يتفق مع الكتاب فى قوله بأن « هذه العناصر كلها تنحل » !!

أما من أين جاء النور فى اليوم الأول قبل أن توضع الشمس فى وضعها الجديد فى اليوم الرابع ، فلا يسأله رجل الكتاب لأن أباه هو « أبو الأنوار » ــ وقد أنار فى اليوم الأول بغير شمس ، مع أنه مولد الأنوار وصانع الشموس ، وهو ينير اورشليم السماوية بغير شمس أو قمر ــ وها هو الانسان يولد أنوارا صناعية تنير بغير شمس أو قمر ... وفى قوله : « ليكن نور » استدعاء له لينتشر فى الكون ويشع فى الفضاء وهو ما يعرف بالاشعاع الكونى كان هذا النور هو الحاكم والمنظم لليوم الأول ــ لم تكن هناك وسيلة متوسطة لأن الشمس والقمر لم يقوما بمهامهما إلا ابتداء من اليوم الرابع ــ وهذه حقيقة هى موضوع تساؤل عنهما : هل هما من ستة الآف سنة أم من البدء القديم ؟ ــ هنا نجد الوحى لم يقل : « خلق الله النورين العظيمين » (الشمس والقمر) بل قال : « فعمل الله النورين العظيمين » (تك ١ : ١٦) وليس المقصود بذلك وجود الجرمين لانهما مخلوقين من قبل ، وإنما المراد بهذا القول : توضيب هذين النورين فى وضع جديد بالنسبة للأرض ! وواضح من اللغة الأصلية العبرية ان هناك فرق بين الفعلين (خلق) و (عمل) ، فإن الأول منهما يعنى الايجاد من العدم ، أما الثانى فتشكيل شىء من شىء موجود ! ونرى استخدام الوحى للفعل الثانى (عمل) هنا وبالنسبة للجلد (ع ٧) فى معنى صياغة الغلاف الجوى صياغة جديدة ، كما استخدم الفعلين بالنسبة للانسان نفسه !

الفصـــل الخامس

انتقاد طريقة ظهور نباتات الخلق

« وقال الله لتنبت الأرض عشبا وبقلا وشجرا ... كل شجر البرية لم يكن بعد ... وكل عشب البرية لم ينبت بعد ، لأن الرب الاله لم يكن قد أمطر على الأرض ولا كان انسان ليعمل الأرض . ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض »(تكوين ١ :١١و٢ :٥و٦)

تأخذ مدارس النقد هذه النصوص وتستخرج منها اعتراضا من علم النبات بقولها : « كيف يمكن حدوث الانبات والتكاثر قبل ظهور الشمس ؟ » وهى تستطرد إلى التهكم على ظهور النباتات (بتدرجها الطبيعى من العشب إلى البقول ثم الاشجار) فى يوم وليلة ــ وبدون الشمس ، فإن هذا أمر غير طبيعى ــ على حد تعبيرها ــ إذ كيف يخرج النبات هكذا فى لحظة ومن غير شمس . مع انه يحتاج إلى حرارة الشمس ووقت كاف للنمو ؛ » ويبدو أن الأمر وجيها فى ظاهره حيث أن العلم يقول فعلاً إن النبات يحتاج إلى حرارة الشمس بجانب الماء والتربة للنمو !

ونبدأ الرد بالقول ان وراء موسى ــ المدون البشرى للتوراة كان الله المحيط علما بكل شيء ، والذى يتنزه علمه عن أى خطأ ، لأنه لو كان وقع لتشوهت كلمة الله تشويها تاما ، ولما كانت موضع ثقة للاعتماد عليها ....

ولكن من وجه آخر ليس من حق العقل أن يرفض إعلانا من الله ويطعن فى وحيه بمجرد تضمنه أموراً يعجز عن ادراكها أو تعليلها لأن اعتبار عقل الانسان المحدود مقياسا لكل شيء انما هو محض جهالة ، لأنه ليس فى طاقة العقل ان يحكم على ما هو فوق دائرة ادراكه بالكلية ولذلك فليس بوسعه ان ينكر « معجزات الله » التى هى طلاقة قدرته بدون أن تقيدها الأسباب المتعارف عليها !

ومن ثم فان هذا النقد قد أعطانا فرصة طيبة لاستجلاء عظمة الخالق وإعلان صدق ماكتبه وحيه فى « قصة الخلق » وفى كل الكتاب المقدس بأسره ... **وتبدو هذه العظمة فى تنوع ما أوجده الخالق سواء بالخلق الفعلى المباشر ، كما بالخلق الانفعالى غير المباشر ــ** فمثلاً قد خلق الله آدم وحواء بطريقة مباشرة غير تلك التى جاء بها كافة البشر إلى هذا العالم وهى قانون التناسل ، ومن ثم يكون الخلق الأول لأبى البشر وأمهم خلقا فعليا مباشرا لكن بالنسبة لغيرهما نجد الخلق ليس فعليا ولا مباشرا ، فكلنا ولدنا من أبوين عن طريق الزواج

طبقا لأحكام قانون التناسل وبحسب ذلك يكون خلقنا انفعاليا غير مباشر ، مع أن الله هو الخالق فى كلتا الحالتين بالطبع ، رغم انهما متميزتان الواحدة عن الأخرى ، لأن كلا الخلقين إنما يتم بقدرته تعالى !

وهنا بالنسبة لظهور النباتات يذكر الوحى الأمرين نبين أولهما أى الخلق الفعلى المباشر فى قوله : « لتنبت الأرض » وأما الأمر الثانى فنجده فى القول : « يعمل ثمراً بزره فيه كجنسه » (١ :١١) ، وهو سبحانه فى الحالة الأولى لم يحضر حفنة من البذور وألقاها إلى الأرض ليحدث الانبات بل قال بالأمر المباشر « لتنبت الأرض » !

وقد فات المعترضون هذا الأمر لعدم إنحنائهم أمام العزة الالهية وكأنهم بذلك ينكرون على الله قدرته فى خلق الكائنات خلقا مباشرا ــ أى بدون الواسطة أو السبب المتعارف عليه ــ ان هذه القدرة الربانية تقول للشىء « كن » فيكون بدون واسطة ما ، فبقدرته هذه أمر الأرض أن تنبت فأخرجت النباتات وذلك قبل أن يخضع الانبات لقانون معين واجب مراعاته ويدخل فى نطاق الخلق غير المباشر عن طريق إلقاء البذور ، وهو قانون موضوع من الله ــ واجب الاحترام ــ دون أن يكون قيداً عليه ! ففى البداية ظهرت النباتات بالخلق المباشر ، ومن بعد الزمها الله بالتكاثر وفقا لقانون الاجناس ، كل منها ينمو ويثمر بحسب بذرته التى اودعها الخالق العظيم فى ثمرته !!

* * *

وإمعانا منا فى إثبات ان هذه التناقضات العلمية المزعومة إنما هى من قبيل التهويش لخداع البسطاء وغير الباحثين ... نقدم جوابا كاملا على ما يقوله علم النبات من أن النباتات فى حاجة إلى حرارة الشمس ومن ثم فإن ظهورها قبل الشمس تعتبره مدارس النقد خطأ فى الكتاب المقدس ، وكذلك الحال بالنسبة لتهيئة التربة والوحى صريح فى انه لم يكن هناك انسان ليعمل الأرض وكذلك حاجتها إلى الماء ، ولم يكن هناك مطر بعد ... فكيف ظهرت النباتات حينئذ بدون هده العوامل الضرورية اللازمة !؟

وجوابنا أن الأرض كانت عند تكوينها غازية ونارية وهى غارقة فى عمق المياه ، وبدأت هذه المياه تقوم بتبريدها وتجميدها فخرج منها أبخرة كانت تتحول إلى ماء على سطحها ، وهذا واضح جداً من نص الوحى فى تك ٢ :٦ « ثم كان هناك ضباب يطلع من الأرض ويسقى كل وجه الأرض » ــ وهذا يعنى توافر وجود الحرارة من حالة الأرض الذاتية نفسها والماء من البخار الصاعد منها وهى مغمورة بالمياه ، مما يبين عظمة الخالق فى اخراج النباتات من غير شمس وقبل ظهور الانسان نفسه ليعمل الأرض !

* * *

هذا هو عمل القدرة الربانية بالأمر الالهى ـــ خرجت الأرض يابسة لكن أمر الرب جعلها أرضا (لينة مهروسة) لتتجاوب مع الانبات بدون فلاحة ، وهى فى حالة التبريد بعد ان كانت ملتهبة بدأ الضباب يطلع منها حاملاً الماء ليسقى كل وجه الأرض ـــ **وهذا الذى يثبته الوحى فى الاصحاح الثانى من سفر التكوين كمجمل لما بينه بالتفصيل فى الاصحاح الأول ـــ فانهما متفقان فى تقديم كليهما وصف للخليقة على الوجه المتقدم ونرى منهما معا كيف اجتمعت عوامل الانبات بالقدرة الالهية وهى : الحرارة ، الماء ، التربة وكلها من نفس الأرض (قبل أن تظهر شمسها فى وضعها الحالى وقبل ظهور الانسان أيضاً)** ـــ وهكذا ظهرت النباتات فى لحظة من الزمان بدون شمس ولا انسان بالقدرة الالهية المطلقة !

هذه هى طلاقة قدرة الله ـــ التى ينفى عنها الغزالى الأسباب ويعترف بأنها تفعل ماتشاء بغير أسباب ، فانه سبحانه غير مقيد بها ، وها هى ذى نراها تلزم المعترضين التسليم بهذا الرد بعد أن حيرهم وأعجزهم فأسكت اعتراضهم الأهوج هذا إلى الأبد !!

الفصـــل السادس

حول الخليقة الحيوانية واكتمال الخلق

« وقال الله لتفض المياه زحافات وليطر طير فوق الأرض ... ولتخرج الأرض بهائم ودبابات ووحوش ... وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله فاستراح من جميع عمله » (تك ١و٢)

*** تقدم مدارس النقد هنا اعتراضا على ذكر خلق البهائم والوحوش فى اليوم السادس بعد الاسماك والطيور فى الخامس بحسبان ان ذلك قد جاء مخالفا لنظرية التطور التى يرغم المعترضون إنتسابها للمسيحية فى حين أن المسيحية بريئة منها تماما ، بل ان علمائها لم يقفوا مكتوفى الأيدى فقد قاموا بالرد على هذه النظرية واثبات بطلانها ...**

أما عن هذا الاعتراض فالجرأة بادية فيه لأنه لايقوم على دليل ومن ثم فإن مناقضتهم للترتيب الذى وردت به عملية الخلق هنا فى اليومين الخامس والسادس مبتدئة بالاحياء المائية ثم الطيور ثم الحيوانات الأرضية قد أمست باطله ؛ لأن العلم الصحيح قد وافق على هذا الترتيب ... فقد تحقق العلماء انه ترتيب منطقى فأول ماظهر فى عالم الحيوان هو الحيوانات المائية ومن بعدها البرمائية وبعد ذلك الحيوانات البرية تماما كما ورد بالكتاب المقدس ، ومن العجيب حقا ان رواية الوحى تتكلم عن خلق الأسماك قبل أن تتكلم عن خلقة الطيور البرية : الأسماك أولاً والطيور بعد ذلك ، وهذا يطابق واقع الحال بدليل الحفريات التى عثر عليها العلماء وتحققوا منها أن الأسماك والزحافات المائية كانت أسبق فى الظهور من الطيور ، ومن بعدها البهائم والوحوش وهذا يوافق ترتيب الطبيعة كما يوافق ايضا منطق تدرج الخلق !

* * *

أما الادعاء بانتهاء عملية الخلق فى اليوم السابع لاختتام الوحى أعمال الخلق وبذلك تكون صفة الله كخالق قد انتهى مفعولها : فانه بالرغم مما ذهب إليه بعضهم من أن البشر مخلوقون من قبل لانهم كانوا فى الله علما وإرادة .. الخ ، وبالرغم من رأى اوريجانوس ـــ بأن الخلق كله قد تم دفعة واحدة فى أيام الخلق الستة وان جوهر نفوس الموجودات جميعها قد خلق معا فى وقت واحد ، بل بلوغه إلى حد ان ارواح البشر كانت اسبق من خلق آدم وحواء ـــ وهذا قال به المذكور متأثرا بفلسفة افلاطون لكن الكنيسة لم تقبله ولم تسلم به إطلاقا ـــ فإن النص الكتابى لا يحتم هذا المعنى بأن الله خلق جميع الكائنات من قبل وكف عن العمل من جهة إنتاج افرادها فيما بعد لحفظ اجناسها ـــ وقد سبق أن رأينا كيف

فات هؤلاء المعترضين التمييز بين الخلقين : الخلق الأول الفعلى المباشر ، والخلق الثانى — بالواسطة — وهو غير مباشر ، فلا غرابة من خوضهم فى الموضوع نفسه بغير علم ، ويكفينا هنا الرجوع إلى كتاب « الخلاصة اللاهوتية » للقديس توما الاكوينى المجلد الأول ص ٥٣٥ حيث نجد فيه ما نصه :

« كل موجود كيفما كان وجوده صادر عن الله إلا أذا وجد شيء فى شيء بالمشاركة فلا بد أن يكون مسبباً فيه ... أى معلولا له كعلته ... ولذلك ينسب الخلق الانفعالى إلى الخليقة . كما ينسب الخلق الفعلى إلى الخالق على أن الخلق الانفعالى ينسب إلى المخلوق بحسب الاضافة فقط »

ومعنى ذلك أن الله الخالق عقب قيامه بالخلق الأول المباشر ويجرى من بعده الخلق بالواسطة التى وضع لها ناموسا خاصا تتم بمقتضاه . ومع أنه الخالق فى سائر الأحوال ولكنه من جهة الخلق المباشر نراه قد إبدع الخليقة بالخلق الأول ثم اخضعها لقانون الخلق بالواسطة . ولذلك مع وصف البشر بأنهم « زرع الله » إلا انهم قد وصفوا أيضا « بزرع بشر » !

* * *

أما إنكار مدارس النقد لحادثة الطوفان والزعم بأنه اسطورة فقد قدمنا أدلة الرد على ذلك من الحفريات وعلم الآثار فقد وجدت فيها عبارات تصف الطوفان قريبة وشبيهه لما جاء فى الكتاب المقدس ، وقد اوردناها فى كتابنا « القول الصواب فى حل مشكلات الكتاب » (ص ٢٠ — ٢٣) .

الفصـــل السابع

مواجهة الامتحان الاخلاقى واعتراضاته

« ناموس الرب كامل يرد النفس ...
وصايا الرب مستقيمة تفرّح القلب ... »
(مزمور ١٩ : ٧ و ٨)

*** لقد تنوعت المواقف تجاه الكتاب المقدس خاصة العهد القديم ولا ينكر أحد أن هناك صعوبات بشأنه : بعضها تاريخى وقد عالجناه وبعضها عقلى يختص بالمعجزات ــ وهى التى تخرق نواميس الطبيعة وتدلل على طلاقة قدرة الله الظاهرة من قبل ومن بعد مما يستحيل إنكاره ، وهناك صعوبات العهد القديم هى تلك التى تختص بالناحية الأدبية فقد**

زعم بعض من أبناء هذا العصر ان آداب الكتاب المقدس ناقصة عن مستوى الكمال لما ورد به مما يجمعه النقاد وعلى رأسه التشهير بخطايا الانبياء والرسل ، مع أن العصمة أول شرط من شروط صدق النبوة ، ويظنون أن ذلك يطعن فى صحة الوحى :

ويرى أحد المعترضين المعاصرين هؤلاء الانبياء والرسل ــ لسبب الامور المنسوبة إليهم ــ « عصبة من الأشرار .. سكيرين ولصوصا وزناة وكذابين ومخادعين وقتلة ... » ويدعون نتيجة لذلك بان هذه الاسفار مكتوبة بأيد موتورة لطخت هؤلاء الصفوة الكرام باسوأ ما يتصف به أرذل الناس ... وهم يزعمون لذلك بأن الأقلام التى كتبت التوراة هى أقلام لليهود وهم فى سبى بابل بما فيه من مذلة وعار الأمر الذى دفعهم إلى تلطيخ كل شىء وإلقاء القذر الذى كانوا يعيشون فيه على وجه التاريخ كله ، وهذا ادعاء باطل نبين بطلانه فيما يلى :

أولاً : ان الكتاب المقدس لم يوجد لتمجيد البشر لأنه لو كان الأمر كذلك لكان يحدث العكس تماما فلا تُذكر خطايا هؤلاء الانبياء فمع ان كتبة الوحى كانوا يهودا وكتبوا عن انبيائهم وملوكهم العظام إلا أنهم لم يحاولوا إخفاء عيوب وخطايا ونقصات هؤلاء الملوك والانبياء كما يفعل بعض المؤرخون المحدثين بل كتبوا عنها دون تحفظ ،وفى هذا أصدق الدليل على أن تدوين الكتاب المقدس إنما كان بوحى الروح القدس ــ ولولا ذلك ما كانت تذكر التوراة الاوصاف والويلات التى ذكرها الله فيها عن اليهود وأوقعها عليهم ، ولتعمدت هذه الأقلام حذفها أو تحريفها ومنها مثلا ماجاء فى لاويين ٢٦ وحزقيال ٢٢ من أوصاف وعقوبات لم يكن ممكنا أن تبقى فى كتاب كتبته أقلام يهودية « موتورة » لانها عقوبات موجهة إلى اليهود أنفسهم وأوصاف تعلن عن شرورهم وتمردهم وبُعدهم عن إلههم ، أما ذكر كل ذلك فى التوراة فانما هو دليل قاطع لصحة كتابتها بالوحى ، وأن الكتبة الملهمين لم يلجأوا إلى تزييف حقائق التاريخ أو إخفائها ، وكل هذا يؤكد وحى العهد القديم بلا منازع !

ثانياً : إن الأنبياء المشار إليهم منزهون عن الخطأ ومعصومون بعصمة الوحى عند استخدامه لهم ــ وليس بوجه مطلق من جميع الوجوه ــ ولذلك فإنهم فى باقى الأمور العادية كانوا كسائر البشر ــ ولذلك فلا وجه لمقارنتهم بالمسيح القدوس الكامل المنزه ــ ومن ثم فقد احتاجوا إلى التوبة والاستغفار لأن صفاتهم ليست نماذج كمال لأنهم بشر : ولم يكن اختيار الله لهم لمهامهم ناتجا عن تفوق فى الاخلاق وإنما هو فضل من الله يعطيه لمن يشاء ، وهو داخل فى نطاق « الاختيار الوظيفى » وليس هو الاختيار المطلق الذى ينسبه البعض لله وهو يتصل بالمصير بالنسبة للجميع ، وهو اختيار اغتصابى يقول عنه اصحابه ان لاعلاقة له بالحالة التى يكون عليها المختارون ! فى هذا الضوء نجد الكتاب المقدس يذكر خطايا الأنبياء دون أن يصادق عليها أو يقلل من مقدار ذنبها ، ودون أن يخفى عقابها أيضا ، كما أنه يتابع توبتهم وتذللهم لأجل استعادة علاقتهم بالمولى عز وجل !

ومن هذا الوجه يكون العيب فى النبى شخصيا عندما يخطىء وليس فى النبوة ــ ولذلك فإن وقوع الخطأ من الأنبياء والرسل لايجعلنا أن نكون غير واثقين بالاوامر والنواهى الموضوعة منه تعالى بواسطتهم لأن هذه ليست أقوالهم بل هى أقوال الله نفسه ، لأن ماتكلموا به شفاها وماكتبوه إنما هو من روح الله وليس من أنفسهم ، فأقوالهم لذلك صادقة ومستحقة كل قبول ، لأن الذى أوحى لهم بهذه الأقوال لايمكن أن يدعهم يكذبون فيها . حاشا وكلا . وأما من جهة سلوكهم الشخصى فليس معصوما من الخطأ ...

وإذاً فإن الادعاء بأن ذكر هذه الأمور لايليق بكتاب موحى به من الله أمر باطل ، لأنه من أدلة صدق الكتاب المقدس الأساسية أن يخلع الرداء عن كل شخص يذكره ــ يجرِّده تماما ويقدمه كما يراه الله !

ثالثاً : تأييداً لما سلف ذكره نرى أن الله لايزّيف الحقائق ولا يستر خطايا الأنبياء بل يرينا تأثير الشر حتى على أقدس القديسين دون أن يحابى أحدا كشهادة على الضعف البشرى العام ، الأمر الذى لايمكن النجاة منه بدون معونة النعمة الالهية ... ومن ثم فإن الوحى المقدس لايغطى الشر بل يعلنه ليحذرنا من ارتكابه ، ولذلك فإن خطايا الأنبياء المذكورة فى التوراة إنما هى بمثابة « نور أحمر » لتحذيرنا مع الاختلاف فى تقدير الاخطاء بالنسبة للأنبياء الذين صدرت منهم والعصر الذى كانوا يعيشون فيه :

ــ أما عن خوف ابراهيم وكذبه وترك زوجته لتسليمها للغير فجوابنا أن قوله عن سارة انها اخته صحيح ولكنها غير شقيقته ــ وكان جائزاً التزوج بغير الشقيقة (وكذلك زواج عمرام ابى موسى بعمته) وكليهما لايحسب تعديا لأنه لم تكن وقتئذ وصية ناهية إذ لم تكن

هناك شريعة بعد لأن هذه بل البدء فى كتابة التوراة حدث على يد موسى بعد الخروج من أرض مصر . وبالاضافة فإن خوف ابراهيم هنا إنما كان لاتقاء جور الملوك لئلا يقتل وهو فى ذلك بشر يُظهر ضعف الطبيعة البشرية لأنه ليس كاملاً غيرُ الله ...

وإذا كان خليل الله لم يسلم من الكذب فلا عجب إن وقع اسحق ابنه فى ذات الخطية تحت ظروف مشابهة وذلك لتنبيهنا وتوعيتنا ...

أما عن شرب نوح الخمر فلم يكن هناك نص يحرمه حينئذاك وقد استحق « نسل حام » اللعنة عند رؤيته عورة أبيه لأن مابدر منه لم يكن على سبيل المفاجأة بل ليبين لنا الفرق المنتظر بين الخياء والاستهتار بالنسبة له ولأخويه اللذين سترا عورة أبيهما ورفضا حتى مجرد النظر إليها ـــ هذا الرجل استحق اذاً اللعنة بأن يكون عبداً لأن اخلاقه اخلاق عبيد فعلاً ... وأما ماصار من لوط بابنتيه فهو خطأ وان كان غير عمدى لانه كان بدون شعور أو علم لقبوله الخمر لأنه لم تكن هناك شريعة بعد تنهى عن شربها وأيضا لم يكن عارفا بالغاية التى من أجلها سقته إبنتاه إياها والقصة إنما تكشف عن تأثير المعاشرات الردية وإفسادها لأخلاق بناته ووضعت فيهما أفكاراً شريرة فقد ظنتا ان زرعهما سينقطع بانخساف سدوم ... وبالرغم من أن لوطا هو ابن اخ ابراهيم فقد جاء العقاب تمنع العمونى والموآبى من الدخول فى جماعة الرب إلى الجيل العاشر (تث ٢٣ :٣) ولو كانت التوراة مكتوبة بأيدى بشرية لعملت حسابا هذه القرابة العظمى !

وأما فيما يختص بيعقوب فلا جريمة ولا تواطؤ فيما فعله مع خاله لأبان وإنما هو عدل وحق ، وحتى أخذه البركة مهما كان أسلوبه فإنما يدل على تقديره للأمور الروحية بالمقابلة مع استهتار عيسو بها .

وكذلك حادثة زنى يهوذا بثامار ، لم تكن تُحسب لانها قبل الناموس ، فضلا عن إنه لم يكن يعلم أنها كنّته ، والحادثة لاتُذكر موافقا عليها بل لترينا ضعف الانسان وتسرعه فى الحكم على غيره بينما يرتكب هو ذات الفعل ، أما النبوة الموجهة اليه فهى تتعلق بمستقبل السبط وانحصار الملكية فيه عند ظهور ملوك كداود وسليمان بل إتيان المسيح منه !

أما عن الزنا فى بيت داود فإن الله لم يأمر به بل فعله آمنون بحريته واختياره ، وقد سمح الله بحدوث ذلك لأجل تأديب داود ـــ فقد أجرم داود وهو ملك ، العدالة البشرية لاتستطيع الوصول إليه ، لكن يد الله امتدت لتؤدبه وتعاقبه ـــ لأن الله لايتستر على خطية الكبار ولو كانوا ملوكا ، وقد أمات لداود ثمرة الزنا على الفور ، فى حين أن سليمان قد ولد بعد أن أصبحت امرأة أوريا زوجة شرعية لداود (٢صم ١٢ : ٢٤) .

أما عن سليمان فإن الله قد سمح له يقينا أن يجتاز فى الاختبارات التى مرَّ بها ليكون مثالاً ناطقا لبطلان المحاولات البشرية فى البحث عن السعادة ، فقد حرب كل ملذات الحياة ووجدها باطلة وقبض الريح ، وقد تصرف فى حياته بمحض ارادته ولكنه فى ختام الأمر رجع إلى الصواب وسجل الحقيقة أن لاسعادة إلا فى تقوى الله وحفظ وصاياه ، وعليه فإن سليمان إذاً لم يمت كافرا ، بل كان انحرافه مجرد سقطة مرَّ بها فى حياته ليكون عبرة للأجيال والقرون !

وعلى ذلك لم يكن بغريب ماسجله الوحى فيما سلف ذكره وغيره مما اتاه هرون الكاهن من سبكه العجل الذهبى ، وما حدث من موسى الحليم من وقوعه فى خطية الغضب ، ويوحنا المعمدان فى خطية الشك فى المسيح الذى كان قد أعلن عنه ، وكذلك بطرس فى خطيتى لأنكار للمسيح والرياء لليهودية ، واثبات هذا كله عليهم إنما هو لانهم بشر ، وقد تابوا عما فعلوه !

أما عن النساء الأربع المذكورات فى سلسلة نسب المسيح ، وقد استقبح الناقدون ذكرهن فى هذه السلسلة وهن غير منزهات عن الخطأ ، فى حين أن لاصلة جوهرية توجب ذلك والسبب هو :

أولاً : تذليل كبرياء اليهود المتوهمين انهم ارقى طبقات البشر .
ثانياً : لأن الله يختار الأنبياء دون الشرفاء لكى لايفتخر أحد أمامه .
ثالثاً : ان ذوى القلوب النيرة بالتوبة لاتحول سقطاتهم دون نيل رضى الله .
رابعاً . ان لهن شركاء فيما فعلن فلم يسجل الوحى العار عليهن دون اولئك .
خامساً : ان المسيح إنما جاء ليشرِّف البشرية لاليتشرف بها .

* * *

بالاضافة إلى ما سلف ذكره . فإن هناك اعتراضات أخرى يثيرها النقد العصرى بقوله : « يبدو أن هذه قسوة شديدة من جانب الله أن يأمر مثلاً برجم عخان وعائلته كما وباهلاك الكنعانيين وكذلك قتل صموئيل لاجاج أو موت عزة بسبب لمسه تابوت الله ... وكذلك أمره الغريب لحزقيال بأن يجهز خبزه على الشىء النجس (كتمثيل لحالة الشعب فى السبى) . وكذلك فى موضوع زواج هوشع بامرأة زنا لتصوير نوع العلاقة التى ارتضاها الشعب لنفسه بالانفصال عن إلهه ... الخ . فمن هذه وامثلتها يوجد أمران للتأمل :

أولهما : أن هذه الأشياء وان بدت غريبة لأول وهلة ولكنها ليست باصعب مما جاء بالعهد الجديد خاصة بمصير الناس الهالك فى نار لاتطفأ ودود لايموت مما يدل على أن إله العهد القديم هو نفسه إله العهد الجديد وهو قداسة ومحبة معا فالعدل والرحمة مجتمعان فيه !

ثانيهما : ليس فى تلك الدينونات إى شيء اغتصابى بل إنا نجد من ورائها كلها نداءات مستمرة بالرجوع ، فقد بكى صموئيل على شاول العاصى مع كون الله رفضه حينئذاك نهائيا من الملك . وقد نجد فى بعض المزامير مواقف لانهضمها ـــ ومن المحال هنا تطبيق كل مافى العهد القديم على زماننا فى العهد الجديد ... ولكن مما يعتبر من باب الجرأة بل والخطأ الشنيع أن نعترض على الله قائلين : لماذا فعل بهذه الطريقة ؟ ولماذا لم يفعل بغيرها ؟ لأنه هو احكم منا بكثير ويعرف ما يؤثر فى القلوب واحكامه أبعد من أن تفحص !

أما تأسُّف الله فلا يعنى تغيير فكره أو مقصده وكذلك ندمه ، وإنما ذلك تعبيرات بشرية فيها يخاطبنا بلغتنا تنازلا منه لضعفاتنا ، فهو اظهار الشعور الالهى باللغة التى تناسب فهم المخلوق البشرى ويقصد بهما التأثر على حالة الانسان لاقناعه بالخطورة !

أما تضليل الله للأنبياء ـــ الأمر المذكور فى سفر حزقيال ـــ فهو عقاب على كل من يضع معثرة إثمه امامه ثم يسأل النبى فيسمح الله بالاضلال قصاصا لكليهما معا أى أنه فى هذه الحالة يترك النبى ليميل بارادته إلى الضلال !

وأما من جهة نسبة الضعف والجهالة لله (اكو ١ :٢٥) فلا يقصد بهما وجودهما فى الله ، حاشا ، بل هذا بالنسبة لما حسبه غير المؤمنين (اليونانيين مثلا) هكذا ...

أما صيرورة المسيح لعنة لاجلنا (غل ٣ :١٣) فذلك لان من قبل ان يفدى الخطاة من حكم اللعنة يحملها هو نفسه فى شخصه عوضا عنهم بما فى ذلك الألم والموت !

وليست هذه كلها جملة وتفصيلا مضادة للعقل ، وإن كانت فوق العقل فالادعاءبرفضها لأن العقل لايقبلها ولايسلِّم بنسبتها لله وانبيائه باطل لأن عقولنا ليست قياسا للأمور الفائقة الادراك وليس لها وهى قاصرة محدودة أن تحكم فى الواجب قبوله والواجب رفضه من كلام الله نفسه !

ومن المؤكد ان كافة الأمور التى يبحث عنها النقاد ويجعلون منها موضوعا للطعن لايمكن لليهود والمسيحيين إضافتها الى الكتاب المقدس لأنها مهينة لالههم ولأسلافهم خاصة فيما لو لم تكن قد حدثت بالفعل ... !

ومن ابشع ماقاله البعض عن تسليط الله للدببتين على الأطفال الذين سخروا من اليشع فأكلتا منهم اثنين وأربعين طفلاً ، ان ذلك يجعل الله سبحانه سفاحا ... ولكن الحادثة ترينا مدى مسئولية الوالدين فى تربية أولادهم وترينا أن الاولاد الذين لم يعلمهم ذووهم الأدب وسمحوا لأنفسهم بالسخرية من نبى الله يستحقون الموت فقد سبق ان امرت الشريعة بقتل من شتم اباه أو أمه (خر٢١ :١٧) فكم بالحرى من يسخر من نبى الله فى عرض الطريق ؟

فليس هو بالاله السفاح اذاً إنما هو الله القدوس الذى يكره الاستهتار وميوعة الاخلاق والانحراف وعدم احترام الصغار للكبار وهو ماتفشى فى مجتمعنا الحديث !

* * *

بقى أن نختم هذا الفصل بما يدور حول سفر نشيد الأنشاد لمساسه بهذه الناحية الأخلاقية ، وقد وجدنا هنا من يقول عنه انه « ملحمة شعرية عن الحب والجنس لانفهم أى علاقة بينهما وبين الدين » — ويعتبر الكاتب العصرى ديورانت هذا السفر فى منزلة الكتابات الغرامية التى تهيج الجانب الحيوانى فى الانسان ، ويعلن كاتب عربى عنه بانه غزل ماجن خليع لايليق أن يكون مما تتنزل به السماء !

والواقع ان هذا السفر هو ذروة ماكتبه سليمان وهو سفر قانونى لم يوضع اعتباطا وإنما لوصف اختبارات روحية صوفية سامية ولذلك كان يستعمله اليهود فى اليوم الثامن من عيد الفصح لانهم اعتبروه استعارة عن علاقة الرب بالشعب كعريس وعروس ... وقد اعتبرته المسيحية فيما بعد وصفا رمزيا وتشبيها بديعا لشخص المسيح كالعريس الذى ظهر فيه الكمال والجمال ، وبنفس الاسلوب الشعرى توصف العروس ، وأيا كانت مناسبة كتابته فإنه فى الواقع إعلان للعلاقة التى بين المسيح والكنيسة ، علاقة لايدركها العقل غير الروحى ولا يستطيع فهمها فى حين انها تحمل طعاما دسما للذهن الروحى ، ومن ثم فلا إثارة ولاغزل وإنما حديث جميل عذب حتى ان المؤمن يرى نفسه بازائه أمام أعمق وأجمل سفر فى الكتاب المقدس !

السجلات التاريخية ومشكلات الأنساب

« لايتكلمون بالحق . علموا ألسنتهم
التكلم بالكذب وتعبوا فى الافتراء »
(ارميا ٩ :٥)

يستغرب كثيرون من النقاد لقولنا أن جانباً كبيراً من الكتاب المقدس يحتوى على « تاريخ » وعلى وجه خاص : الأسفار مابين يشوع واستير والاناجيل ـــ باعتبارها تاريخ حياة السيد المسيح وسفر الاعمال باعتباره يحوى تاريخ نشأة الكنيسة وأوجه نشاطها فى القرن الأول الميلادى ولقد كان معظم المؤرخون الذين كتبوا خلفية هذه الأسفار المقدسة يخفون اشخاصهم فلا يذكر اسم أحد منهم وما كتبوه اضحى مصادر لما جاء فى هذه الكتب ...

وهنا يتساءل الناقدون عن الوحى فى هذه الحالة : فنقول إن كتبه الوحى ـــ المؤرخون ـــ كانوا يجمعون المواد من البحث المضنى . ويستخدمون كتبا كثيرة بعضها ذكرت أسماؤها . وأما مكان الوحى بعدئذ فهو الانتقاء من المواد التى أمام أولئك المؤرخون بارشاد الروح القدس لهم فيختارون منها مايريده الوحى ويقومون بترتيبه تحت إشرافه ـــ وهذه هى بعض المصادر التى أخذوا عنها :

« سفر ياشر ـــ سفر حروب الرب ـــ تواريخ شمة وعدو المتعلقة بالانساب ـــ تاريخ النبى ناثان ـــ كتب عدو الرائى ـــ أخبار أيام الملك داود ... وكثير غيرها . »

وهكذا ظهرت مجموعات من المراجع التاريخية تدعى « الكتب أو الأسفار » كانت معروفة عند قدماء العبرانيين :

ففى سفر العدد ٢١ : ١٤ نجد سطورا قلائل مقتبسة من كتاب « حروب الرب » وإنا نوجدون فى سفر يشوع ١٠ : ١٣ تلميحا إلى مجموعة أخرى تدعى « سفر ياشر » (وياشر كلمة عبرية معناها المستقيم) والمرجح ان هذا السفر قد حوى قصص حروب يشوع مع الأموريين . وقد ورد فى نفس هذا السفر أيضا رثاء داود لشاول حيث ترد الاشارة عنه مرة اخرى فى صموئيل الثانى ١ : ١٧ ، ومن المعلوم إن سفرى صموئيل هما جزء من سلسلة تاريخ الشعب القديم يبتدئان بآخر خدمة عالى الكاهن كقاض وينتهيان بآخر مُلك داود ـــ ويبدو من (١ أيام ٢٩ :٢٩و٣٠) ان أمور داود الأولى والاخيرة مكتوبة فى اخبار صموئيل الرائى واخبار ناثان النبى واخبار جاد الرائى : وهذا يبين أن هناك روايات مسجلة منسوخة فى مدارس الانبياء . الأمر الذى يتضح منه أنه كانت هناك اسفار اخرى غير موحى بها تحتوى

على تاريخ كل ملك على حدته ومنها « ذكريات داود » وأيضا سفر أمور سليمان (امل ١١ : ٤١) كما أن هناك سفر اخبار الأيام لملوك يهوذا (امل ١٤و٢ مل ٢٤) وكذا سفر اخبار الأيام لملوك اسرائيل (٢ أخ ١٦و٢٥و٢٨و٣٥و٣٦) وهذه الأسفار كانت فى الواقع مصادر لسفرى الملوك الأول والثانى ... أما سفرا أخبار الأيام فيبدآن بتاريخ الانسان ذلك للوصول إلى تاريخ السلسلة المختارة ، والمرجح أن كاتبهما هو عزرا لاسيما أن خاتمة السفر الثانى تتفق مع بداءة سفر عزرا ...

ويقتبس كاتب هذين السفرين من سفرى صموئيل والملوك ولكنه يذكر أموراً كثيرة لاتوجد فيهما ، ولله فى مثل هذه الاضافات والحذف وسائر الاختلافات الظاهرية قصد إلهى ، لانه تعالى هو الواضع هذه الاسفار كلها ...

يبين لنا مما سلف بيانه أنه كانت هناك مراجع مكتوبة فى سجلات مقار الملوك لتدوين كل الاحداث ذات الشأن اثناء حكمهم ، كما كانت هناك سجلات الهيكل التى كان يحتفظ بها الكهنة كما كانت هناك سجلات مدارس الانبياء ، كما كانت هناك مراجع تدون منها الانجيل كما سنرى فيما بعد !

* * *

*** كانت سلسلة الانساب فى صدارة هذه السجلات التاريخية . وهنا يعيب علينا اصحاب النقد العصرى قولنا إن الوحى قد أخذ بعض مدوناته من مصادر تاريخيه وانه انتخب منها مارآه مناسبا ، بما فى ذلك سلسلتى نسب المسيح الواردتين فى انجيلى متى ولوقا ، كما انهم يتهكمون على التناقض الظاهرى بين سلسلتى النسب المشار إليهما ، ويبدون الاستغراب لاغفال مرقس ويوحنا هذه السلسلة فلم يذكرا نسبا على الاطلاق :**

وقد سبق أن اثبتنا انه لاتعارض البته بين هيمنة الوحى على كل كلمة واقتباسه من المصادر التاريخية — إذ أن اختلاف الاساليب التى يستخدمها الوحى — سواء كانت بالنبوة أو الشعر أو التاريخ — ليست بمطعن فيه بأى حال من الأحوال اذ أنه هو الذى ساق الكتبة بحسب الطرق التى اختارها هم بما فى ذلك طريقة الاقتباس هذه !

وعندما نأتى هنا إلى انساب السيد المسيح فإننا نقول بأن كتبة الأناجيل إنما كتبوا من زوايا معينة فقدموا مايرتبط بها — دون نقل من بعضهم البعض أو تكرار من الواحد لما يذكره الآخر — فقد كتب متى أنساب المسيح كوريث عرش داود ، وكتب لوقا أنسابه كابن الانسان الوريث لكل شىء ، أما مرقس فكتب عنه كالخادم الكامل وتقديمه بهذه الصفة لايتطلب أنسابا ، بينما قدمه يوحنا كابن الله الأزلى الموجود قبل وجود مريم أمه وهذه الأنساب بأسرها بل وقبل إيجاد العالمين بالموجودات التى بها ، فأى مكان للانساب هنا لمن هو هذا وصفه وحاله !؟

ومع ذلك لايفوتنا هنا استكمالاً للرد على هذا الاعتراض أن نبين الفروق بين سلسلتى النسب الواردتين فى متى الاصحاح الأول ولوقا الاصحاح الثالث ، وأبرز هذه الفروق إنما هو فى الحقيقة فى نوعية النسب ، فالسلسلة الأولى هى نسب يوسف بن سليمان بن داود ، بينما الثانية هى سلسلة نسب مريم بنت ناثان بن داود ، والسلسلتان معا تؤكدان بكل يقين أن يسوع المسيح متناسل من داود ووريثه !

وبينما يعود متى فى سلسلة النسب التى يذكرها عن المسيح إلى إبراهيم باعتباره أب الشعب اليهودى مارا فى نفس الوقت بداود الملك ، يرجع لوقا بسلسلته إلى آدم ليكشف لنا عن حق المسيح « كابن الانسان » فى أن يكون وريثا لكل شيء بحلوله كآدم الأخير محل آدم الأول ونيابته الجديدة عن البشر بدلاً من آدم .

أما تصور الاختلاف بين السلسلتين فى أن يوسف (رجل مريم) هو عند متى ابن يعقوب بينما هو عند لوقا ابن هالى فأمره بسيط لان يوسف هو ابن يعقوب فعلا وابن هالى وأصبح هالى هذا أباه فى الشرع ، وإنما وضع اسم يوسف محل اسم مريم فى جدول نسبها حسب التقاليد اليهودية ...

ويتقدم الانتقاد العصرى إلى محاولة نقد السلسلتين من جهة الزعم بأن هناك عشرين فقط من الاجيال عاشت بين أول انسان وابراهيم حسبما يقول لوقا فى انجيله فى حين انها ليست كذلك حسب تقديراتهم الجيولوجية التى سبق ان فندناها ... ويستطرد الى القول بأن متى يذكر فى انجيله أربعين حلقة فى سلسلة النسب التى تربط بين ابراهيم ويوسف رجل مريم بينما يذكر لوقا فى انجيله ٥٦ حلقة أى أن هناك ١٦ حلقة مفقودة عند متى ، والحقيقة ان اجيال متى ٤٢ (لذكر داود الملك مرتين بها ، مرة كختام مرحلة الاجيال الأولى والاخرى كبدء المرحلة التى تليها ــ ولحساب المسيح كجبل هو ختام الاجيال الواردة به) ، أما الفرق فيما عدا ذلك فيرجع إلى أن أنساب متى تبدأ بابراهيم ، بينما تنتهى الأنساب فى لوقا بآدم فهو بداية السلسلة عنده الأمر الذى يحتم وجود الاختلاف فى عدد الأجيال بينهما واذاً لامحل للادعاء بأن متى أغفل ست عشرة حلقة وهى عنده مفقودة !

أما الاختلافات فى الاسماء بين السلسلتين : فيبدو للباحثين أن البعض من اصحاب هذه الاسماء كان له أكثر من اسم واحد ، وأن البعض قد رأى الوحى حذفها لأسباب روحية منها أن بعضهم كان من نسل آخاب من ايزابل ، وهناك من حذف اسمه لشره كيهوياقيم ــ ولذا يقول الوحى عن القسم الأول من هذه الحلقات فجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا (متى ١ :١٧) ولكنه لايقول ذلك عن القسمين التاليين له فالتغيير فى الاسماء يرجع إلى أسباب متنوعة ويخضع لقواعد اللياقة الدينية فحسب .

ومن بين الاختلافات هنا بين السلسلتين ان شالتئيل هو ابن « يكنيا » فى سلسلة متى ، وهو ابن « نيرى » بحسب سلسلة لوقا ولا تعارض بين القولين فإن شالتئيل وهو ابن « يكنيا » فعلا ، وابن نيرى شرعا لأنه أخذ ابنته زوجة فوضع اسمه محل اسمها كعادة اليهود كما ورد عنه انه ولد « زربابل » ولكن يبدو من أخبار أول ٣ :١٩ ان زربابل هو حفيد شالتئيل لكونه ابن ذرايا (وكان اليهود ينسبون الحفيد إلى جده فيقولون أحيانا إنه ابنه ، فقد قيل عن لابان إنه ابن ناحور فى حين انه ابن بتوئيل ابن ناحور ــ ويبدو ان اسم فدايا قد حذف هنا لضغط الاجيال إلى ١٤ جيلا) ، أما « ايهود » الذى يقال ان زربابل قد ولده فهو غير موجود فى أنساب العهد القديم ويبدو أنه هو مشلام الوارد ذكره فى (١ أى ٣ :١٩) وكذلك ريسا الوارد ذكره فى لوقا يبدو أنه بعينه حنانيا الوارد ذكره فى انساب العهد القديم ، وهذا يؤكد ماكان مألوفا ــ وإلى اليوم ــ أن يكون للشخص الواحد اسمان ! أما ورود اسم « قينان » بين شالح وارفكشاد فى سلسلة لوقا فقد ذهب البعض ان موسى لم يذكره لتكون الاجيال من آدم إلى نوح عشرة ومن نوح إلى ابراهيم عشرة ، وقال غيرهم ان قينان وشالح اسمان يدلان على شخص واحد ... !

أما بعض الاسماء المذكورة فيما بعد والتى لم ترد فى أسفار العهد القديم فذلك لأن اصحابها وجدوا بعد اختتام أسفار العهد القديم وفى الفترة المتوسطة فيما بينه وبين العهد الجديد ، ومما لاشك فيه أن هذه الاسماء تطابق ماجاء فى السجلات العامة أو العائلية التى كان يعنى بها اليهود عناية تامة (عزرا ٢ :٦٢) .

* * *

ومن ثم فان اختلاف الاسماء بل وحذف بعض الاسماء من جداول الانساب لبعض الأسباب كان أمرا مألوفا عند اليهود (عزرا ٧ :١ــ٥ مع أيام أول ٦ :٣ــ١٥) بل وإسقاط البعض من جدول النسب الملكى كعقاب إلهى لايخل بصحة النسب ... وهذا مجمل مايمكن أن يقال فى شأن « الأنساب » ، ومهما يكن من أمر تجسيمها وتضخيمها عند مدارس النقد والطعن بها فى صحة الوحى فإنها لا تمس جوهر حقائقه ، اذ ليس لها تأثير ما على الدر المكنون فى كتاب الله المصون !

الفصـــل التاسع

نبوات الكتاب وتأكيدها لصحة وحيه

« لأنى أنا الرب اتكلم والكلمة التى اتكلم
بها تكون ... » (حز ١٢ : ٢٥)
« إلى وقت النهاية لأنه بعد إلى الميعاد .. »
(دانيال ١١ : ٣٥)

*** علامتان بارزتان :**

يبحث الكتاب المقدس فى أهم المواضيع الخطيرة التى تستدعى شديد الاهتمام ... ومن أقوى الأدلة التى تشهد على صدقه وصحة دعواه وتدعو للايمان به وقبوله : **أمران مهمان جداً وكلاهما فائق للطبيعة ــ الواحد النبوة والآخر المعجزة ــ وما النبوة سوى معجزة نطق فائق يدخل ضمنه الاخبار بأمور مستقبلة ... فالنبوة مثل المعجزة تعلن لنا الهيمنة إلا لهية وكلاهما عمل أو صنيع فائق للطبيعة . وذلك فإنها أنسب تصديق على وحى الكتاب المقدس !**

ولاشك ان الانباء بالمستقبل له قيمة خاصة لدى كافة العقول المفكرة ، فهو أمر يستدعى انتباه كل عقل مفكر ، ولذلك كانت المعجزة ترافق النبوة لكى تشهد لصدق وحيها ، وكان ذلك منتظرا وبالاكثر عند تثبيت اساسات الايمان المسيحى دون التقيد المطلق بذلك ، لأن الله سبحانه باعتباره رب المستحيل صانع العظائم والمعجزات فى كل وقت يراه ، ومع ذلك يبقى للنبوة طابعها الفريد باعتبارها « المعجزة الدائمة » ، وهى تزداد قوة كلما زادت الفترة الممتدة بين وقت النطق بها وزمان اتمامها ، **لذلك كان أمرا هاما أن يضع الله ختم النبوة على كلمته كشهادة باقية على مدى الزمن لكل الاجيال .. !**

وجدير بالذكر أن الكتاب المقدس قد تضمن نحو ألف نبوة كتبت قبل حدوثها بين اربعمائة وألقين واربعمائة سنة ، وقد تم جانب كبير منها فى التاريخ الماضى ، وبعضها فى طريق الاتمام جار الآن فى التاريخ الحاضر تحت نظرنا وحولنا ، كما ان هناك جانباً باقياً منها وشيك الحدوث فى تاريخ المستقبل ... ولذلك فقد قيل : « إن النبوة هى قالب التاريخ أو هى التاريخ وقد كُتب مقدماً قبل حدوثه على مسرح الوجود » !

* * *

ولذلك فإنه من المعلوم أن من خصائص النبوات ومميزاتها أنها تاريخ كتبه الله قبل حدوثه ، ومن ثم فإن كل الباحثين الذين عرفوا الكتاب المقدس مجمعون على أن هذا الكتاب قد تضمن

« حوادث التاريخ البشرى سواء فى ماضيها أو حاضرها أو مستقبلها ، مما يمكن الوقوف عليه بالعناية فى درسه ...

ولاشك أن كثرة أسفار الانبياء وبُعد مداها يبرهنان على أهمية النبوات المدونة فى الكتاب المقدس ـــ وهذه بينة لاثبات قيمتها باعتبار إنها تكمن فيما تكشفه عن المستقبل من حوادث يترك أمر تحقيقها للتاريخ لاثبات صدقها أو كذبها .

ولقد أيدت حوادث التاريخ على مدى العصور صحتها وصدقها فأكدت بذلك وحيها ليس فى جملته فقط بل فى أدق تفاصيله أيضا .

وما يقال عن صحة نبوات العهد القديم وصدقها يقال أيضا عن نبوات العهد الجديد ... وكثير منها لايزال معلقاً قيد التحقيق ، فستتحق كل نبوة فيه فى وقتها المعين لها من الله !

ويظهر من هذا جميعه أن النبوة « **معجزة مجسمة** » فإنه عند نظر هذه النبوات ـــ نبوات العهد القديم والجديد ـــ وفحصها بكل تدقيق فى نور الحقيقة الواقعة الواضحة فى التاريخ نجد فى اتمامها عجبا بل العجب العجاب ... إذ اننا بالرجوع إلى مدونات الانبياء نشاهد ماعجز عن تبيانه أعظم المؤرخين قد بينه علم الله المدرك لاعماق كل شىء لأنه تعالى بكل شىء عليم !

وهكذا بظهور صدق هذه النبوات بإتمامها تاريخيا لم يعد بالأمكان رميها بالغموض والابهام أو اعتبارها من قبيل التكهنات والاستقراءات أو الرجم بالغيب ...

فهل بالامكان تعليل مثل هذا الاتفاق بقانون الاحتمالات كأنها جاءت بمحض الصدفة ؟ كلا . فإن النطق بها وإتمام حدوثها إنما يسير على قواعد معينة لايمكن أن تتعداها ، حتى أن الله العزيز الحكيم يدعو البشر أجمعين لفحص كتابه ليروا إن كانت نبواته لايرافقها الاتمام الحرفى أم لا ... وهل يوجد تحقيقها فى الحوادث التابعة أم لا .. ؟ حتى يعلموا علم اليقين أن النبوات والحوادث التاريخية المرافقة لها كليهما آت من العقل الالهى المُبدع وخاضع لأوامر روحه الملهم ، حتى أن كلمة الله النبوية وتنفيذها بفعل هيمنة العناية الربانية يسيران معا يداً بيد بوفاق أبدى سرى عجيب !

* * *

ولقد كانت النبوات عند النطق بها أسرارا محيرة حتى بالنسبة للأنبياء أنفسهم فلم يكونوا قادرين على حل طلاسمها وفك ألغازها ، وكان ذلك هو مهمة التاريخ مفسر عجائب النبوات وغرائبها ...

وكان لابد إزاء ذلك من إعطاء العقل فرصته للقيام بالبحث فى صحة نسبة الكتاب المقدس لله ـــ وهل هو كتاب الله حقا .. وذلك قبل الايمان به ككلمة الله الموحى بها منه تعالى ... وخاصة أن عقل الله عظيم جدا بطبيعته ولايقاس به عقل الانسان المحدود ـــ وفى ضوء هذا كله من ذا الذى يجرؤ على إنكار وحى هذه النبوات بأكملها الصادرة عن علم الله بكل شيء ، الذى هو سبحانه سبق فرأى وسبق فأنبأ بما رأى وأعلنه بكشف النبوة العجيب ... ورفع الستار عنه فصار باديا للعيان لكل مشاهد !

ولا شك أن تسليما كهذا لايعتبر ثمرة التصديق الأعمى بل بالحرى نصرة العقل المنصف والنتيجة الطبيعية للتأكيد الذى أحدثه البحث المعقول حتى لايكون الايمان بالكتاب المقدس ايمانا تقليديا والثقة به ثقة عمياء بل يكون ذلك مؤسسا على برهان حاسم هو صدقه وتأكيد وحيه ككلمة الله المعصومة !

* * *

وإننا نختم هذا الفصل بأمثلة قليلة مناسبة للمقام فمثلا هناك نبوة نوح : عن تاريخ ومستقبل الجنس البشرى الذى تنبأ به نوح بتحديد أنساب الشعوب واتجاهاتها وذلك تفرعا من أولاده الثلاثة سام ويافث وحام ...

أما نبوة أشعياء فقد ورد بها عن انتهاء اسباط اسرائيل العشرة فى النص القائل : « إنه فى مدة خمس وستين سنة ينكسر افرايم (وهذه الاسباط ممثلة فيه لأنه اشهرها) حتى لا يكون شعباً » (٧ : ٨) وقد تمت هذه النبوة فعلاً عندما سبيت العشرة اسباط إلى اشور سنة ٧٢٢ ق.م. وبقوا ضائعين إلى يومنا هذا ...

وقد دعت هذه النبوة عينها كورش باسمه قبل ولادته بمئات السنين وفصلت أعماله من اطلاق السبى وبناء الهيكل (٤٤ : ٢٨و٤٥ : ١)

ونعلم أن تاريخ اسرائيل هو محور النبوات على وجه خاص وذلك لمتابعة الزرع المقدس الذى سيأتى منه « المسيا » ولذلك فإن كل ما ارتبط بهذا التاريخ كأشور وبابل ومصر واليونان والرومان إنما أخذ مكانه فى النبوة لارتباطه بذلك الشعب ...

ومن ثم فإن ماجاء عن قيام وسقوط هذه الممالك القديمة مما يتمثل فيه تاريخ العالم منذ ظهور المملكة البابلية إلى النهاية قد جاء مسطورا فى سفر دانيال (الاصحاحات ٢ و ٧ و ٨) وذلك بكل دقة وبكيفية عجيبة مضبوطة تماما مع الحقائق التاريخية رغم انها مكتوبة قبل حدوثها ووقوعها بأزمان طويلة ... وذلك مثل قيام وسقوط المملكة الفارسية ومن بعدها مملكة الاسكندر المقدونى ثم المملكة الرومانية التى انقرضت وستعود للظهور فى وقت النهاية حسب النبوة وهذا هو ختم المؤلف السماوى على أقواله هذه !

بل ان كل ماحدث فى حياة المسيح من كافة الوجوه والتفاصيل قد جاء متفقا مع ماتنبأ به الانبياء وتماما بالاضافة إلى روائع النبوات كلها فيما نطق به على جبل الزيتون عن علامات النهاية وهكذا نرى كيف أن التاريخ قديمه وحديثه قد أثبت صدق نبوات الكتاب وأيد حقيقتها ، وكفانا دليلاً أن عدد ما تحقق من نبواته الكثيرة إنما هو برهان قاطع ودليل ساطع وحجة لايمكن رفضها على صدق كلمة الله وصحة وحيها ... !

الفصـــل العاشر

الأناجيل الأربعة ومشاكل العهد الجديد

« التى فيها أشياء عسرة الفهم يحرفها غير
العلماء وغير الثابتين لهلال انفسهم »
(٢ بط ٣ : ١٦)

*** ادعاءات حول الأناجيل :**

ونحن نقترب من نهاية المطاف هنا لابد من سرد خلاصة لادعاءات مدارس النقد العصرى حول الأناجيل وذلك على الوجه الآتى :

أولاً : الزعم بأن الانجيل الذى أنزله الله على المسيح شىء يختلف تماما عن أناجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا وهى التى كتبت بعده .

وجوابنا هو أن المسيح نفسه لم يكتب شيئا وما الانجيل الذى دعا إليه سوى بشارة التوبة والايمان باقتراب ملكوت الله ، وكان يقدمه شفاها دون أن يكون تنزيلا مكتوبا كما يتراءى لمن يطعن فى الانجيل باطلا بالقول ان الانجيل الصحيح هو الذى نزل على الميسح لا الذى كتب عنه من بعده ... ومن عجب ان هذه المدارس تتساءل عن هذا الانجيل المزعوم بقولها : ولكن أين هو الآن ؟ ويمتد زعمها إلى التوراة أيضا التى تقول عنها بأنها ليست هى الحالية لكن هناك توراة اخرى صحيحة غيرها نزلت على موسى ... ! ولما كانت البينة (الدليل) على المدعى كان على الناقدين مسئولية اظهار هذه الكتب المُدَّعى بفقدها ، وإزاء التهرب والعجز من جانبهم نسألهم : كيف انه لم تظهر نسخة واحدة من نسخ التوراة والانجيل الصحيحة حتى لايمكن لهم بها تدعيم دعواهم الباطلة هذه !؟

ثانياً : الادعاء بوجود أناجيل عديدة ، من الممكن أن تكون قد بلغت مائة انجيل ــ على حد قول موريس بوكاى العصرى ــ فلماذا اقتصرت الكنيسة على الأناجيل الاربعة ــ دون غيرها ــ مع مافى ذلك من مساس بسلطان الوحى وكأن للكنيسة سلطة ورقابة عليه بزعم أنها حذفت لاحرف أو كلمة بل أكثر من مائة انجيل :

ونقول رداً على ذلك بأن القصص كانت تروى شفهيا عن المسيح ، كانت نواة لعدة أناجيل حتى أصبح فى وقت قصير لكل منطقة من مناطق الميسحية إنجيلها الذى تستخدمه فى كنائسها ، وعندما بدأت هذه الأناجيل تخرج من حيز الاستعمال الخاص كل فى نطاق منطقته المحددة ، وأخذت تتداول فى الكنائس عامة ، كان لابد من تمحيصها وحصلت « الأناجيل الأربعة » فقط على « التقدير العام » الذى تقرر بموجبه اعتمادها وقبول كافة

الكنائس لها والاقرار بوحيها بعد أن ثبتت قانونيتها وتم الاعتراف بها بناء على ما أحاط بها من براهين داخلية وخارجية !

واستنادا إلى هذا التمحيص الدقيق تقررت قانونية الأناجيل الأربعة وباقى اسفار العهد الجديد بعد ان كانت اسفار التوراة قد تقررت بمعرفة المجمع اليهودى ، ووضعت هذه الاسفار كلها فى قائمة واحدة فى مجمع نيقية ، وهى تطابق تماما الكتب المتداولة بين أيدى المسيحيين اليوم ...

وأما رفض الكنيسة الاعتراف بالأناجيل الأخرى فلا غرابة فيه بعد أن ثبت أن الكثير مما تحتويه من أقوال دخيل ومزور مما يقطع بأنها من تأليف اصحاب البدع فى الفترة الواقعة بين القرنين الثانى والرابع ، وقد أطلقوا على كل منها زورا وبهتانا اسم « الانجيل » (لترويج بدعهم) مع أن بعضها مكتوب بواسطة اشخاص لم يلازموا المسيح بل لم يعاينوه مثل انجيل العبرانيين وانجيل المصريين ، وحتى لو كان منها مايحمل اسماء بعض تلاميذ المسيح ـــ مثل توما وبرتلماوس ومتياس بل وبطرس نفسه ـــ فإن فيها الكثير من الاخطاء التاريخية والجغرافية ، ومنها ما يخالف ما يتصف به المسيح ـــ كانجيل برنابا ويتعارض مع ماذكره انبياء العهد القديم ، ومنها ما يطالب بحفظ الناموس والختان ، ونفى هلاك الاشرار ، ومن ثم لم يتقرر وحيها ولا قبولها ولذلك لم يرد ذكرها فى جداول أسفار الكتاب المقدس التى عملت ابتداء من القرن الثالث ، فضلا عن ذلك لم تُقرأ فى الكنائس المسيحية فى أى عصر من العصور على خلاف الأناجيل والرسائل التى اعتمدت بقبول الكنائس لها وتقررت قانونيتها نهائيا فى المجامع المسكونية ابتداء من مجمع نيقية ...

فى حين أن الأناجيل الاربعة ـــ فاتحة العهد الجديد ـــ إنما هى انجيل واحد قام بكتابته أربعة بشيرين كتب كل منهم من ناحية معينة ولقوم معينين يمثلون اربع جهات وهى اليهودية والرومانية واليونانية والمسيحية ومحورها ـــ سيرة السيد المسيح ـــ بغير تكرار أو تناقض وفقا لما قادهم إليه الوحى ، وإذا كان هذا هو مبلغ حرص الكنيسة على هذه الأناجيل المعتمدة فكم يكون حرصها أشد فيما لو كان هناك انجيل مباشر ليسوع المسيح كما ترتأى مدارس النقد !

أما الادعاء بأن الكنيسة فيما فعلته من تمحيص دقيق لحصر وتحديد كتب الوحى وتميزها عن سواها وخاصة ما ظهر منها منسوبا لاسماء ضخمة فلم يكن بمثابة اخضاع الوحى لسلطتها ، بل على العكس تماما الخضوع لسلطان الوحى باقرار الاسفار التى ثبتت قانونيتها بعد فحص كل سفر منها وثبوت انسجامه وتوافقه مع باقى الاسفار القانونية لاكتمال الكتاب المقدس !

* * *

*** نخة موجزة عن مشاكل العهد الجديد :**

تدعى مدارس النقد بأن بالأناجيل ما يظهر منه ان هناك علاقة أبوة بين يوسف والمسيح مع ان ذلك لايتفق مع ولادة المسيح ابن مريم من غير أب ليكون آية للعالمين ، وأن هذا إنما هو من فعل الاصابع اليهودية التى تنتظر مسيحا آخر فارادت أن تزيف وتحرف هذه الآية !

وواضح تماما ان الاناجيل التى تحدثت عن هذه العلاقة لكى تكون مريم العذراء المخطوبة ليوسف فى حكم الزوجة القانونية له حتى يكون المسئول الشرعى عن طفلها كما يكون عونا لها فيصونها من تهجم الاشرار ، لذلك كان من الضرورى وجود هذا الانتساب قانونا لا على اعتبار ان يوسف أب طبيعى له بل باعتباره رجل مريم ... هذه الأناجيل عينها قد اكدت فى نفس الوقت هذا الميلاد العذراوى بجواب العذراء نفسها لجبرائيل الملاك وقت البشارة بهذا الوليد (لو ١ : ٣٤) وبما ورد فى نهاية سلسلة نسب انجيل متى قوله : يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح (١ : ١٦) أما لوقا فيصف هذه العلاقة بقوله عن يسوع : « وهو على ماكان يظّن ابن يوسف » (٣ : ٢٣) أى حسبما كان الناس يظنون وفقا لما كان شائعا بينهم !!

أما الحديث عن آية الله فى هذا الميلاد العذراوى فلم يكن بجديد مستحدث ولا كان بمقدور الاصابع اليهودية أن تعبث به مهما كانت انتظاراتها ، لان التوراة قد سبق فأعلنته قبل الميلاد بحوالى سبعمائة سنة (اش ٧ : ١٤) وهو ما قام الانجيل باثباته وتحقيقه ...!! والمبرر الذى يزعم بأن الامة الاسرائيلية تنتظر مسيحا آخر لايغير من الشهادة الاصلية فى حفظهم للتوراة وقد ورد بها بان يسوع المجروح منهم سيكون هو بعينه عند ظهوره لهم « المسيا المنتظر » بعينه فيبكون وينوحون عليه عند رؤياهم له !

أما باقى الاعتراضات فنجملها على الوجه الآتى :

١ــ ادعاؤهم بان بعثة المسيح استغرقت فى الأناجيل الثلاثة عاما واحدا بينما يجعلها يوحنا تمتد لأكثر من عامين : والجواب انه لم يحدث تحديد للوقت الذى استغرقته بعثة المسيح وفقا لما يقولون ولذلك فهناك تكامل لاتناقض ! كذلك ليس هناك تناقض بين بدء خدمته فى الثلاثين وقول اليهود بانه ليس له خمسون سنة بعد ، لانه كان ذا ثلاثين سنة حينئذاك ولم يصل للخمسين !

٢ــ حسبانهم أن أمر المسيح الأول لتلاميذه بان يمضوا الى طريق أمم يتنافى مع أمره الثانى « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » فى حين أن جوابه بسيط وهو أن الدعوة قد تحولت من بنى اسرائيل إلى الامم بعد اعراضهم عنه ورفضهم لها .

٣ــ الزعم بان معجزة صيد السمك الواردة فى لوقا ٥ هى نفسها الواردة فى يوحنا ٢١ فى حين ان الأولى كانت عند بدء خدمة المسيح فى بحيرة جينسارت وأما الثانية فكانت بعد

القيامة عند بحر طبرية ، الأولى شهدها سمعان وابنا زبدى ، أما الأخرى فقد رآها سبعة من التلاميذ .

أما باقى الاعتراضات فهى تدور حول وقت العشاء الأخير « أهو قبل الفصح أم اثناء عيد الفصح ، ومكان القبض على يسوع أهو فى ضيعة جتسيمانى أم فى جبل الزيتون (بحسبان ان ضيعة جتسيمانى هى بيت فلان ...) وهو الذى عمل فيه الفصح ... » وحالة قبر يسوع وترتيب الذين رأوه وأيضا عما اذا كان الحجر قد دحرج عند الفجر أم عند طلوع الشمس ... ونفس الشأن نجده يمتد إلى قيامة أجساد بعض القديسين الراقدين وعدم خروجهم إلا بعد قيامته . والواقع انهم رافقوا المسيح فى رحلته إلى الهاوية قبل صعودهم معه كباكورة العهد القديم إلى الفردوس ـــ السماء الثالثة ـــ أما باقى انتقاداتهم ضد العقائد الجوهرية فى المسيحية فقد أوفينا الرد عليها فى أبحاثنا الأخرى ... وإنما بما سردناه هنا قد أعطينا الجواب الحاسم على سهام النقد العصرى التى أراد بها الشيطان التشكيك فى الكتاب المقدس فشهدنا بذلك ب « صدق كلمة الله وتأكيد وحيها » .

دار الثقافة العربية للطباعة
٢٣ شارع الظاهر – القاهرة ت: ٩٠٦٧٠٦

رقم الايداع : ٤٦٣٧ / ٨٦

هـذا الكـتاب

انه فخر المكتبة العربية بلا منازع إذ أنه يتطرق إلى مجابهة الأفكار العصرية المهاجمة للكتاب المقدس بكل ما لديها من أساليب بقصد النيل من عصمته والتشكيك فى صدقه باعتباره كلمة آلله الصادرة عن وحيه والمكتوبة بروحه ...

وهو ختام المطبوعات التى سبق أن أصدرناها عن « الكتاب المقدس » وهو على التتابع « فكرة عن الكتاب المقدس » « مصادر الكتاب المقدس » « المسيحية بين الكتاب المقدس والتقليد » « عصمة الكتاب المقدس واستحالة تحريفه » « الكتاب المقدس يتحدى مشاكل الاعتراضات » « القول الصواب فى حل مشكلات الكتاب » .

وهذا الكتاب هو سابع هذه الحلقات وخاتمتها ــ بعدد الكمال ــ وهو يحتوى على عشرة فصول عناوينها كالآتى :

تساؤلات حول الكتاب المقدس ــ طعون خاصة بتدوين الكتاب ــ الخلق بين علم الجيولوجيا والوحى ــ الخلق بين علم الفلك والوحى ــ انتقاد طريقة ظهور نباتات الخلق ــ حول الخليقة الحيوانية واكتمال الخلق ــ مواجهة الامتحان الاخلاقى واعتراضاته ــ السجلات التاريخية ومشكلات الانساب ــ نبوات الكتاب وتأكيدها لصحة وحيه ــ الأناجيل الأربعة ومشاكل العهد الجديد .

نستودعها جميعها لله سبحانه الذى أوحى بكتابة هذا ، وأرسله للبشرية موعظة ونورا وهدى للحياة الأبدية .

الثمن